

المجموعة الثانية

من رسائل الشيخ العلامة أبي محمد عبد الحميد الطائفي
المدرس بالمسجد الحرام ودار الحديث
رحمه الله

❖ كشف القناع

عن مسألة الدعاء بعد المكتوبة
بهيئة الاجتماع

❖ الموازنة

بين مسند الإمامين
أحمد بن حنبل وبقية بن مخلد

❖ قبائح اليهود

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المجموعة الثانية

بن رَسَالَةَ الشَّيْخِ الطَّائِفِ الْأُمِّيِّ مُحَمَّدٍ عَمْرٍو
المدرس بالمسجد الحرام ودار الحديث
رحمة الله

كُتِفَ الْقِنَاءُ

عَنْ مَسْأَلَةِ الدُّعَاءِ بَعْدَ الْمَكْتُوبَةِ
بَحْثٌ فِي الْأَجْزَاءِ

الموازنة

بَيْنَ مُسْنَدِي الْإِمَامَيْنِ
أَحْمَدَ بْنَ حَنْبَلٍ وَبُخَارِيَّ بْنَ مُحَمَّدٍ

قَبْلَ الْيَهُودِ

طُبِعَ عَلَى نَفَقَةِ أَحَدِ الْمُحْسِنِينَ

قام بتصحيح التجارب المطبعية ابن المؤلف الشيخ عبد الوكيل
أبو خالد الواعظ بالمسجد الحرام والشيخ علم الدين أبو الحمد
سلامة المراقب الديني بفرع وزارة الاعلام بمكة

كشف القناع عن مسألة الدعاء بعد المكتوبة بهئية الاجتماع

بقلم فضيلة الشيخ المحدث
إلى محمد عبد الحق الهاشمي
المدرس بالمسجد الحرام رحمه الله

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذى أمر بالاعتصام بالكتاب والسنة والهداية ، ونهى عن التفرق والبدعة والضلالة والغواية ، وشرع لنبيه المصطفى سُنَنَ الهدى ، من اتبعها رَشَدَ واهتدى ، ومن تركها فسد وغوى .

والصلاة والسلام على سيد الانبياء والمرسلين ، الهادى إلى سبيل الحق باذن رب العالمين ، وعلى آله الطيبين وأصحابه الطاهرين وأزواجه أمهات المؤمنين .

أما بعد فهذه رسالة ألفتها فى تحقيق مسألة مكث الامام والمؤمنين بعد الانصراف من الصلاة المكتوبة ودعائهم بهيئة الاجتماع والاشتراك بحيث لا يقوم الامام من مصلاه حتى يدعوا بالالتزام ولا يذهب المأموم حتى يفرغ الإمام فاذا دعا الإمام جهر المأمومون بالتأمين . وقد شاع ذلك فى أكثر بلاد المسلمين حتى صار هذا المكث للدعاء شعارا من شعائر الدين ينكر الناس على تاركيه ويلومونه أشد الملامة ، فلو ترك الرجل ألف فريضة لم يلوموه مرة واحدة وإن ترك هذا الدعاء مرة واحدة لاموه ألف مرة فكأنما انعكس الامر وانقلب الحال فصار الفرض عندهم نفلا والنفل بمنزلة الفرض .

وهذه المسألة فى الحقيقة من أغمض المسائل التى تزل فيها اقدام العلماء وتتحير فيها أفكار الفقهاء وحق لها لأنها من الأمور التى كانت سنة أو مستحبة فى نفسها وبدعة وضلالة بصفة أو هيئة عرضت لها وكذلك تكون بعض المسائل .

أفلا ترى أن القنوت فى صلاة الصبح سنة فى نفسه وقد قنت النبى ﷺ عند الحاجة والنازلة وقت بعده خلفاؤه الراشدون، لكن لما داوم عليه بعض الناس سأل ابو

مالك الاشجعي أباه عن ذلك فقال : أى بنى انه لحدث يعنى الدوام فالقنوت فى أصله سنة لكن سماه هذا الصحابى بدعة بوصف الدوام الذى عرض له . وهكذا الذكر فى المسجد كان سنة فى نفسه فقد مر النبي ﷺ بمجلسين فى مسجده أحدهما مجلس علم وثنائهما مجلس ذكر فقال كلاهما على خير ثم جلس فى مجلس العلم وقال : انما بعثت معلما لكن لما اخبر ابن مسعود بأن فى المسجد رجلا يقول لاهل الحلقة كبروا مئة فيكبرون فيقول هلموا مئة فيهللون ويقول سبوحوا مئة فيسبحون قام عبد الله بن مسعود فقال لهم ويحكم يا أمة محمد ﷺ ما أسرع هلكتكم هؤلاء صحابته بينكم متوافرون وثيابه لم تبل وآنيته لم تكسر والذي نفسى بيده انكم لعلى ملة ليست هى أهدي من ملة محمد ﷺ أمفتحو باب ضلالة قالوا : ما أردنا إلا الخير قال : وكم من مرید خير لن يصيبه ثم تولى قال الراوى رأينا عامة أولئك يطاعنوننا يوم النهروان مع الخوارج . أخرج الدارمى هذين الاثرين فتأمل كيف تغيط هذا الصحابى الجليل على أمر قد ثبت أصله فى السنة نعم إنه أنكر عليهم حين غيروه من أصله .

وهكذا حال المسألة التى نحن بصددھا فإن أصلھا ثابت فى السنة لأن الدعاء بعد المكتوبات ورد فيها لكل مصل أما بهذه الهيئة الكذائية فلا . وهذه المسألة قد أوردھا شيخ الاسلام احمد بن عبد الحلیم ابن تیمیة الحرانى فى فتاواه ثم ذكرھا صاحبه الحافظ شمس الدين ابن القيم فى زاد المعاد وفصلھا ونقحھا الامام المحقق الفقيه ابراهيم بن موسى اللخمي ابو اسحاق الغرناطى الشاطبى فى كتابه الاعتصام الذى ألفه فى الرد على البدعة والضلالة وقد أطلال البحث فيها وفى اثبات كون هذا الاجتماع بدعة وأورد جميع الشبهات التى دعمت بها وكر عليها بالنقض فهدمھا وسنذكر كلام هذا الامام كما ننقل كلام غيره من العلماء الاعلام فيما يأتى من التحقيق .

ولا شك ان أصل البلية من سوء الفهم فى هذه المسألة فالعوام لا يعرفون معنى البدعة ولا يفرقون بين البدعة والسيئة ثم المصيبة كل المصيبة انهم يقسمون البدعة الى الحسنة والسيئة والحق ان كل بدعة ضلالة بنص الشارع كما ان اكثر علماء العصر يدخلون هذه الهيئة الاجتماعية فى عمومات الاحاديث الواردة فى الدعوات . بر الصلوات والحال انها غير داخله فيها فلو عرف الفرق بين البدعة والسيئة وتقرر أن

هذا الاجتماع غير داخل في العموم لا توضح الحق فيما يتعلق بهذه المسألة وها أنا ذا أذكر الفرق بين البدعة والسيئة وأثبت ان هذا الاجتماع غير داخل في العموم المفهوم من الأحاديث الواردة في الدعوات بعد المكتوبات . ذلك ان كل أمر حادث تكون صورته صورة عبادة ولم يكن في الزمان النبوي فهو بدعة ومن أمثلة ذلك عمل المولد النبوي واقامة مجلس المعراج ليلة السابع والعشرين من رجب واهداء الطعام يوم الموت واجراؤه بعده اربعين ليلة متواترة قبل المغرب أو عند طلوع الشمس واعطاؤه سبع ليال من ليالى الجمعة واقامة الحول فان جميعها صورته صورة عبادة لان الطعام صدقة لكنه بهذه الصفة لم يكن في زمان النبي ﷺ فلذلك كان بدعة .

وأما ما كان من امر حادث لا تكون صورته صورة عبادة كايجاد انواع اللباس وطهى انواع الطعام ونحو ذلك فهو داخل في المباح الذى أباحه الله ورسوله وليس بدعة بل يجوز للإنسان أكل كل نوع من أنواع الأطعمة مما حل ولبس كل نوع من أنواع الالبسة مما لم يرد فيه نهى وان لم يكن جميع ذلك في الزمان النبوي لأنه مباح وليست صورته صورة عبادة لذلك جاز للإنسان اختيار وضع اللبس في العمامة وكذا جاز له لبس كل نوع من أنواع النعال والقمص والمخيط بالآلة ، كما جاز ركوب الخوافل والطائرات دون الدواب فان جميعها وان لم يكن على عهده ﷺ الا انه من المباح وليس له صورة عبادة .

أما السيئة فهي كل أمر نهى عنه الشارع سواء كانت صورته صورة عبادة ام لا ومن أمثلة ما كانت صورته صورة عبادة ونهى عنه صيام العيدين وصيام يوم الجمعة وحده وصيام يوم السبت وحده والتطوع في الاوقات المكروهة ، ونهى الفقهاء عن التصديق يوم النيروزجان والمهرجان إلى غير ذلك ، فإن جميع هذه الامور من الصيام والصلاة والتصديق صورتها صورة عبادة لكنها سيئة بصفتها تلك لورود النهي عنها .

وأما ما كان من أمر ليست صورته صورة عبادة ، وقد نهى عنه الشارع فله أيضا أمثلة كثيرة كالنهي عن الزنى والسرقة وشرب الخمر وغيرها فان جميعها ليست صورته صورة عبادة لكن كل ذلك سيئة لأن الشارع نهى عنها .

هذا ولا ريب أن الاجتماع لهذا الدعاء بعد المكتوبة صورته صورة عبادة فان ثبت كونه في الزمان النبوي ثبت كونه سنة وإن ثبت النهي عنه يكن سيئة وان لم

يثبت كونه في الزمان النبوي ولم يثبت ايضاً كونه منها عنه ثبت كونه بدعة لا محالة ، وذلك بالصفة التي اكتسبها هذا الدعاء وهي هيئة الاجتماع والالتزام لأن الشيء قد يكون في نفسه مأموراً به ويكون بوصفه منها عنه ، وأمثلة ذلك كثيرة في الشرع . ألا ترى أن الدعاء مأمور به في ذاته لكن قد يصبح منها عنه بصفته التي يتخذها ، كما روى أن رجلاً من الصحابة سمع ابنه وهو يدعو ويقول في دعائه اللهم أعطني قصراً أبيض عن يمين الجنة فنهاه عن ذلك وقال اني سمعت النبي ﷺ يقول : سيأتي بعدى قوم يعتدون في الدعاء وقد مر النبي ﷺ بمريض فقال : بما دعوت ؟ قال قلت اللهم ما كنت معذبى به فعجله لى في الدنيا ، فقال أفلا قلت ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة فهذا الرجل دعا والدعاء في نفسه سنة ولكن لما اتخذ دعاؤه صفة استعجال العذاب نهاه الشارع وأرشده إلى دعاء فيه طلب الحسنيين . هذا ما يتعلق بالفرق بين البدعة والسيئة وبه علمت أن الدعاء لما كان عبادة وجب ان لا نحيد بصفته عن الذي كان زمن النبي ﷺ فإذا أحدثنا فيه شيئاً لم يكن على عهده كان بدعة وكل بدعة ضلالة .

والدعاء بعد المكتوبات بالهيئة الاجتماعية التي يتخذها الامام والمأمومون غير داخلية في عمومات الاخبار الواردة في الدعاء وسنفصل ذلك فيما يأتي ان شاء الله الا انني أحب أن اذكر هنا على سبيل الاجمال ان الشيء يدخل في العموم اذا كان العام شاملاً له ولم يكن ذلك الشيء في زمان حكم العموم وأما اذا كان الشيء موجوداً وقت العموم ولا يفعله الشارع فلا يدخل في العموم أصلاً وكذلك ما نحن بصدد بيانه فان الاجتماع كان يحصل في الزمان النبوي وكان هناك عموم الأحاديث الواردة في الدعاء بعد المكتوبات لكنه مع ذلك لم يدع الشارع عليه الصلاة والسلام ولا مرة في عمره بهذه الهيئة الاجتماعية بعد الصلاة وبذلك ثبت أن هذا الاجتماع غير داخل في العموم فإن الصفة التي يتخذها الدعاء وهو سنة في ذاته تصبح بدعة بوصفها لأنها حادثة صورتها صورة عبادة ولم يفعلها رسول الله ﷺ .

ونظير ذلك أن الأحاديث الواردة في الترغيب في الدعوات مطلقاً ثابتة بلا ريب ، وقد أدخل علماء العصر في هذا العموم الدعاء بعد صلاة الجنازة ولم يقل به أحد من الأئمة بل عدوه بدعة لأن هذا الدعاء بعد الجنازة لا يدخل في عموم الأحاديث الواردة في الدعاء مطلقاً ذلك لأن الجنازات كثرت في زمان النبي ﷺ وهو

الزمان الذى جاء فيه عموم الأحاديث فى الدعاء ومع ذلك فلم يدع النبى ﷺ ولا مرة فى عمره بعد الصلاة على الجنائز على كثرة شفقتة على الامة وصلاته على الجنائز بعد الدفن ، وصلاته على الغائب فدل ذلك على أن الدعاء بعد الجنائز لا يدخل فى العموم لأنه لم يأت فى زمن الرسالة مع إمكان الاتيان به وهكذا الدعاء بهيئة الاجتماع بعد الفرائض لا يدخل فى العموم المفهوم لأنه لم يحصل مع الامكان فاذا قد تقرر هذا علمت انه بدعة محدثة لأنه فعل عبادة على صفة لم تكن فى عهد النبى ﷺ ، وكل أمر حادث صورته صورة عبادة ولم يكن فى الزمان النبوى فهو بدعة كما قلنا من قبل .

والدعاء عبادة تعلق بها هذه الصفة الاجتماعية بعد الصلاة على الالتزام فأصبحت محدثة بوصفها ولم تدخل فى العموم لأن إمكان الاتيان بها فى زمن العموم مع عدم وقوع ذلك قطعاً يمنعها من ان يشملها العموم .

هذا وإنى لذاكر بعد ذلك كلام الائمة فى هذه المسألة وتفصيلها ان شاء الله وهو ولى التوفيق .

وقد ابتلى الإمام الشاطبى فى هذه المسألة من قبل أهل عصره فبالغوا فى الملام عليه وقامت قياتهم حتى إنهم نسبوه إلى الجهالة والضلالة لعدم التزامه الدعاء بهيئة الاجتماع أدبار الصلوات لما فيه من مخالفة السنة . وهو رحمه الله قد ألقى الله فى نفسه أن كتاب الله وسنة نبيه لم يتركاً فى سبيل الهداية لقائل ما يقول ولا أبقيا لغيرهما مجالا يعتد به فيه وما سواهما فضلال وخسران لذلك أحب اتباع السنة واجتناب البدعة وقويت نفسه على المشى فى طريقه فاقتدى بأصول الدين عملاً واعتقاداً ثم لفروعه المبنية على تلك الأصول ثم المشى مع الجماعة التى سماها رسول الله ﷺ بالسواد الأعظم فى الوصف الذى كان عليه هو واصحابه وترك البدع التى نص عليها العلماء .

قال : وكنت فى أثناء ذلك قد دخلت فى بعض خطط الجمهور من الخطابة والإمامة ونحوها فلما أردت الاستقامة على الطريق وجدت نفسى غريباً فى جمهور أهل الوقت لكون خططهم قلبت عليها العوائد ودخلت على سنتها الأصلية شوائب من المحدثات الزوائد فتردد النظر بين أن أتبع السنة على شرط مخالفة ما اعتاد الناس فلا بد من حصول نحو ما حصل لمخالفى العوائد لا سيما اذا ادعى أهلها أن ما هم عليه هو

السنة لا ما سواها إلا أن في ذلك العبء الثقيل ما فيه من الأجر الجزيل وبين أن اتبعهم على شرط مخالفة السنة والسلف الصالح فأدخل تحت ترجمة الضلال عائداً بالله من ذلك .

فرايت أن الهلاك في اتباع السنة هو النجاة وأن الناس لم يغنوا عني من الله شيئاً فأخذت في ذلك على حكم التدرج في بعض الأمور فقامت على القيامة وتوترات على الملامة ونسبت الى البدعة والضلالة وأنزلت منزلة أهل الغباوة والجهالة . قال : فتارة نسبت إلى القول بأن الدعاء لا ينفع ولا فائدة فيه كما يعزى إلى بعض الناس بسبب أني لم ألتزم الدعاء بهيئة الاجتماع في أدبار الصلوات حالة الامامة لما في ذلك من المخالفة للسنة والسلف الصالح والعلماء وتارة نسبت الى الرفض وبعض الصحابة بسبب أني لم ألتزم ذكر الخلفاء الراشدين منهم في الخطبة على الخصوص اذ لم يكن ذلك من شأن السلف في خطبهم فكنت على حالة تشبه حالة الامام ابن بطة مع أهل زمانه .

ولما وقع على من الانكار ما وقع مع ما هدى الله اليه لم ازل أتبع البدع التي نبه عليها رسول الله ﷺ وحذر منها وبين أنها ضلالة وخروج عن الجادة وأشار العلماء إلى تمييزها والتعريف بجملة منها لعل اجتنابها فيما استطعت والبحث عن السنن التي كادت تطفئ على نورها تلك المحدثات لعل أجلو بالعمل سناها وأعد يوم القيامة فيمن أحيها اذ ما من بدعة تحدث إلا ويموت من السنن ما هو في مقابلتها .

وساق الشاطبي كلاماً طويلاً ثم عقد فصلاً ذكر فيه ما حاصله : أنه قد يكون أصل العمل مشروعاً ولكن يصير جارياً مجرى البدعة من باب الذرائع وبيان ذلك ان العمل قد يكون مندوباً اليه مثلاً فيعمل به العامل في خاصة نفسه على وصفه الأول من النُدبة فلو اقتصر العامل على هذا المقدار لم يكن به بأس ويجرى مجراه اذا داوم عليه في خاصته غير مظهر له دائماً بل إذا أظهره لم يظهره على حكم الملتمزمات من السنن والرواتب والفرائض اللوازم وهذا صحيح لا إشكال فيه الا انه اذا التزم التزام السنن والرواتب إما دائماً وإما في أوقات محدودة على وجه محدود فذلك ابتداع .

ومن أمثله بدعة التزام الدعاء إثر الصلوات دائماً على الهيئة الاجتماعية وقد

بلغت بأصحابها الى ان كان الترك لها موجباً للقتل عندهم .

فقد حكى القاضي أبو الخطاب ابن خليل عن أبي عبد الله ابن مجاهد العابد أن رجلا من علماء الدولة وأهل الوجاهة فيها — وكان موصوفاً بشدة السطوة وبسط اليد — نزل بجوار ابن مجاهد وصلى في مسجده الذى كان يؤم فيه ، وكان لا يدعو في أخريات الصلوات تصميمًا في ذلك على مذهب مالك لأنه مكروه عنده وكان ابن مجاهد محافظا عليه فكره ذلك الرجل منه ترك الدعاء . وأمره بأن يدعو فأبى وبقي على عادته في تركه أعقاب الصلوات فلما كان في بعض الليل صلى ذلك الرجل العتمة في المسجد فلما انقضت وخرج إلى داره قال لمن حضره من أهل المسجد :

قد قلتما لهذا الرجل ان يدعو اثر الصلوات فأبى فاذا كان في غدوة غداً أضرب رقبتك بهذا السيف وأشار إلى سيف في يده فخافوا على ابن مجاهد من قوله لما علموا منه فرجعت الجماعة إلى دار ابن مجاهد فخرج إليهم وقال : ما شأنكم فقالوا : والله لقد خفنا من هذا الرجل ولقد اشتد الآن غضبه علينا في تركك الدعاء فقال لهم لا أخرج من عادتي وأخبروه بالقصة فقال وهو مبتسم انصرفوا ولا تخافوا فهو الذى تضرب رقبتك في غدوة غد بذلك السيف بحول الله . ودخل داره وانصرفت الجماعة على دعر من قول ذلك الرجل فلما كان مع الصبح وصل الى دار الرجل قوم من اهل المسجد ومن علم حال البارحة حتى وصلوا به الى دار الامامة بباب جوهر من اشبيلية وهناك أمر بضرب رقبتك بسيفه فكان ذلك تحقيقا للجاجة وإثباتا للكرامة .

وخلاصة الكلام أن العمل قد يكون في أصله مشروعاً لكنه يصير جارياً مجرى البدعة لما يطرأ عليه من الحوادث من باب الذرائع مثال ذلك أن رسول الله ﷺ ندب لإخفاء النوافل وقال أفضل الصلاة صلاتكم في بيوتكم إلا المكتوبة ومن هنا تأثر السلف الصالح على إخفاء الأعمال اقتداء بالحديث لفعله عليه الصلاة والسلام لأنه القدوة وفيه الأسوة ولم يثبت فيها إذا عمل بها في البيوت الدوام ولا أن تقام جماعة في المساجد النوافل البتة ماعدا رمضان فإذا اجتمع في النافلة أن تلتزم التزام السنن الرواتب اما دائماً واما في أوقات معلومة وعلى وجه محدود وأقيمت بها الجماعة في المساجد التي تقام فيها الفرائض أو المواضع التي تقام فيها الرواتب فذلك ابتداع والدليل عليه انه لم يأت عن رسول الله ﷺ ولا عن اصحابه ولا عن التابعين لهم

فعل هذا المجموع هكذا مجموعاً وأن أتى مطلقاً من غير تلك التقيدات فالتقيد في المطلقات التي لم يثبت بدليل الشرع تقيدها حادث في التشريع فكيف إذا عارضه الدليل وهو الأمر بإخفاء النوافل ووجه دخول الابتداع هنا أن كل ما واطب عليه رسول الله ﷺ من النوافل فالعمل بالنافلة التي ليست بسنة على طريق العمل بالسنة لإخراج للنافلة عن مكانها المخصوص بها شرعاً ثم يلزم من ذلك إعتقاد العوام فيها ومن لا علم له أنها سنة وهذا فساد عظيم لأن إعتقاد ما ليس بسنة والعمل به على قدر العمل بالسنة نحو من تبديل الشريعة كما لو إعتقد في الفرض أنه ليس بفرض أو بما ليس بفرض أنه فرض ثم عمل على وفق إعتقاده فإنه فاسد يوجب العمل في الأصل صحيحاً فأخراجه عن بابه اعتقاداً أو عملاً من باب افساد الأحكام الشرعية ومن هنا ظهر عذر السلف الصالح في تركهم سنناً قصداً لئلا يعتقد الجاهل أنها من الفرائض كالأضحية فإنه روى أن أبا بكر وعمر رضي الله عنهما لم يكونا يضحيان وذلك مخافة أن يتخذها الناس سنة والدعاء في أصله أمر مشروع لكن تحقيقه بالهيئة الاجتماعية دبر كل صلاة على الدوام وتأمين الحاضرين معه شيء مبتدع بهذه الحالة التي طرأت عليه لأنه فعل لم يكن في عهد رسول الله ﷺ ولا فعله الائمة بعده حسبما نقله العلماء في دواوينهم عن السلف والفقهاء .

وكان رسول الله ﷺ في ادبار الصلوات مكتوبات أم نوافل ربما ذكر الله تعالى ذكراً هو في العرف غير الدعاء وليس للجماعة منه حظ ألا أن يقولوا بمثل قوله أو دعوا مثله ، كما جاء أنه كان يقول دبر الصلاة لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطى لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد وربما قال اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت وتعاليت يا ذا الجلال والإكرام أو سبحان ربك رب العزة عما يصفون وكل ذلك إنما في خاصة نفسه كسائر الأذكار فمن قال مثل قوله فحسن هو ولا يمكن في هذا كله هيئة إجتماع .

ولإذا كان هناك دعاء فإن عامة ما جاء من دعائه عليه الصلاة والسلام بعد الصلاة مما سمع منه إنما كان يختص به نفسه دون الحاضرين ولا يكون هناك إجتماع ولا إمامة في الدعاء ولا التزام ولا تأمين من المقتدين كما في الترمذى عن على بن أبى طالب

رضى الله عنه أنه ﷺ كان يقول عند انصرافه من الصلاة اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت أنت الهى لا اله إلا أنت وهذا حديث حسن صحيح .

وفى رواية أبى داود أنه كان إذا سلم قال اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت وما أسرفت وما أنت أعلم به منى أنت المقدم وانت المؤخر لا اله الا أنت . وخرج أبو داود أيضا أنه كان يقول دبر كل صلاة اللهم ربنا ورب كل شيء أنا شهيد أن محمداً عبدك ورسولك اللهم ربنا ورب كل شيء أنا شهيد أن العباد كلهم إخوة اللهم ربنا ورب كل شيء اجعلنى مخلصاً لك وأهلى فى كل ساعة فى الدنيا والآخرة يا ذا الجلال والإكرام اسمع واستجب الله اكبر الله اكبر الله نور السماوات والارض الله اكبر الله اكبر حسبى الله ونعم الوكيل .

ولابى داود فى رواية رب اعنى ولا تعن على وانصرنى ولا تنصر على وأمكن لى ولا تمكّن على واهدنى ويسر الهدى الى وانصرنى على من بغى على . وفى النسائى أنه كان يقول فى دبر الفجر إذا صلى اللهم إني أسألك علماً نافعاً وعملاً متقبلاً ورزقاً طيباً . وعن بعض الانصار قال سمعت رسول الله ﷺ يقول فى دبر الصلاة اللهم اغفر لى وتب علىّ انك انت التواب الغفور حتى يبلغ مئة مرة . وفى رواية ان هذه الصلاة كانت صلاة الضحى . وهذه الادعية كلها فيها تخصيص النفس دون الناس وليس فيه حجة لفعل الناس اليوم . نعم جاء الدعاء للناس فى مواطن كما فى الخطبة التى استسقى فيها ونحو ذلك لكن أين التزام ذلك جهراً للحاضرين دبر كل صلاة .

والعلماء يقولون فى مثل الدعاء والذكر الوارد اثر الصلوات انه مستحب لا سنة ولا واجب وذلك لامرين أحدهما ان هذه الادعية لم تكن منه ﷺ على الدوام والثانى انه لم يكن يجهر بها دائماً ولا يظهرها للناس فى غير مواطن التعليم إذ لو كانت على الدوام وعلى الاظهار لكانت سنة لأن خاصيتها كما ذكروا الدوام والاظهار فى مجامع الناس ولا يقال : لو كان دعاؤه سرّاً لم يؤخذ عنه لأننا نقول من كانت عادته الاسرار فى شيء فلا بد ان يظهر منه ولو مرة إما بحكم العادة وإما بقصد التنبيه على التشريع .

وليس قول الرواة انه (كان يفعل) يدل على الديمومة فقط بل يطلق عليها وعلى الكثرة والتكرار على الجملة كما جاء فى حديث عائشة رضى الله عنها انه كان اذا أراد أن ينام وهو جنب توضأ وضوءه للصلاة وروت أيضا انه كان ينام وهو جنب من

غير أن يمس ماء فكلا الأمرين لا يدلّان على الدوام بل على التكرار بل قد يأتي في بعض الأحاديث أنه كان يفعل فيما لم يفعله إلا مرة واحدة يعرفه أهل الحديث ولو كان يداوم على ما ذكر من الادعية والاذكار المداومة التامة للحق بالسنن كالوتر وغيره هذا مع أن هيئة الاجتماع التي يتخذونها في دعائهم دبر الصلوات غير واردة في هذه الأحاديث فالدعاء على الدوام عليها لم يكن من فعل رسول الله ﷺ كما لم يكن هو قوله ولا إقراره وقد روى البخاري من حديث أم سلمة رضي الله عنها أنه كان يمكث إذا سلم يسيراً قال ابن شهاب حتى ينصرف الناس فيما نرى . وفي مسلم عن عائشة رضي الله عنها كان إذا سلم لم يقعد إلا مقدار ما يقول اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال والإكرام .

وأما فعل الأئمة فقد نقل الفقهاء من حديث الصحابة في غير كتب الصحيح وفيه : صليت خلف النبي ﷺ فكان إذا سلم يقوم وصليت خلف أبي بكر فكان إذا سلم وثب كأنه على روضة — يعنى الحجر المحمى — قلت أخرجه عبد الرزاق في الجامع وأورده في كنز العمال .

ونقل ابن يونس الصقلي عن ابن وهب عن خارجة أنه كان يعيب على الأئمة قعودهم بعد السلام وقال إنما كانت الأئمة ساعة تسلم تقوم . وقال ابن عمر جلوسه بدعة . وعن ابن مسعود قال : لأن يجلس على الرضف خير له من ذلك . ومن قول مالك في المدونة : إذا سلم فليقم ولا يقعد إلا أن يكون في سفر أو في فئائه .

قلت وقرأت في المدونة عن ابن وهب قال : بلغني عن أبي بكر الصديق أنه كان إذا سلم فكأنه على الرضف حتى يقوم وأن عمر بن الخطاب قال : جلوسه بعد السلام بدعة . وقرأت فيها أن مالكا قال : في إمام مسجد الجماعة أو مسجد من مساجد القبائل إذا سلم فليقم ولا يقعد في الصلوات كلها . وأما إذا كان إماما في العراء أو إماما في فئائه — ليس بإمام جماعة — فإذا سلم فإن شاء تنحى وإن شاء أقام .

قال الشاطبي : وعد الفقهاء إسراع القيام ساعة يسلم من فضائل الصلاة ووجهوا ذلك بأن جلوسه هنالك يدخل عليه فيه كبر وترفع على الجماعة وانفراده بموضع عنهم يرى به الداخل أنه أمامهم وأما إنفراده به حال الصلاة فضروري . وقال

بعض شيوخنا الذين استفدنا منهم أنه إذا كان هذا في انفراده في الموضع فكيف بما انضاف اليه من تقدمه امامهم في التوسل به بالدعاء والرغبة وتأمينهم على دعائه جهراً ولو كان هذا حسناً لفعله النبي ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم ولم ينقل ذلك أحد من العلماء مع تواطئهم على نقل جميع أموره حتى كيف كان ينصرف من الصلاة هل عن اليمين أم عن الشمال . وقد نقل ابن بطال عن علماء السلف إنكار ذلك والتشديد فيه على من فعله بما فيه الكفاية ، وهذا ما نقله الشيخ بعد أن جعل الدعاء اثر الصلوات بهيئة الاجتماع دائماً بدعة قبيحة واستدل على عدم وجود ذلك في الزمان الأول بسرعة قيام الإمام وانصرافه وهو مناف للدعاء لهم والمكث وتأمينهم على الدعاء بخلاف الذكر ودعاء الانسان لنفسه فان الانصراف وذهاب الانسان لما فيه غير مناف لهما .

قال الشاطبي : وبلغت الكائنة — يريد الواقعة التي حكاها عن امام مسجد ترك ما عليه الناس بالاندلس من الدعاء اثر الصلوات بالهيئة الاجتماعية على الدوام — بعض شيوخ العصر فرد على ذلك الامام رداً أبرع فيه واستدل بأمور اذا تأملها الفطن عرف ما فيها .

وثبت أن لا دليل على الدعاء اثر الصلوات بهيئة الاجتماع في الجملة إلا في أدبار الصلوات ولا دليل فيه أيضاً كما تقدم لاختلاف المتأصلين .
وأما التفصيل فهناك ثلاثة أنواع من الاستدلال سنذكرها ونقول هنا ان الإمام البخاري عقد في كتاب الدعوات من صحيحه باب الدعاء بعد الصلاة وهناك قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري ان في هذه الترجمة رداً على من زعم أن الدعاء بعد الصلاة لا يشرع متمسكاً بالحديث الذي أخرجه مسلم من رواية عبد الله بن الحارث عن عائشة قالت كان النبي ﷺ إذا سلم لا يثبت إلا قدر اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال والإكرام .

والجواب أن المراد بالنفي المذكور نفى استمرار حالها على هيئته قبل السلام إلا بقدر أن يقول ما ذكر فقد ثبت أنه كان إذا قفل أقبل على أصحابه فحمل ما ورد من الدعاء بعد الصلوات على أنه كان يقول بعد أن يقبل بوجهه على الصحابة . وقال بعض المتأخرين : لا ريب في ثبوت الدعاء بعد الانصراف من الصلاة المكتوبة عن رسول الله ﷺ قولاً وفعلاً .

وقد ذكره الحافظ ابن القيم أيضا في زاد المعاد حيث قال في فصل ما كان رسول الله ﷺ يقول بعد انصرافه من الصلاة ما لفظه : وقد ذكر ابو حاتم في صحيحه ان النبي ﷺ كان يقول عند انصرافه من الصلاة : اللهم اصلح لى فى دينى الذى جعلته عصمة امرى واصلح فى دنياى التى جعلت فيها معاشى اللهم اعوذ برضاك من سخطك واعوذ بعفوك من نقمتك واعوذ بك منك لا مانع لما أعطيت ولا معطى لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد .

وبما أورد الحاكم فى مستدركه عن أبى ايوب انه قال ما صليت وراء نبيكم ﷺ الا سمعته حين ينصرف من صلاته اللهم اغفرلى جفائى وذنوبى كلها اللهم ابغثنى وأحبنى وارزقنى وأبدلنى لصالح الأعمال والأخلاق أنه لا يهدى لصالحها ولا يصرف سيئها الا انت . وذكر ابن حبان فى صحيحه عن الحارث بن مسلم التميمى قال : قال النبى ﷺ اذا صليت الصبح فقل قبل أن تتكلم اللهم أجرنى من النار سبع مرات فانك اذا مت من ليلتك كتب الله لك جواراً من النار . قال بعضهم : فقول بن القيم : « أما الدعاء بعد السلام من الصلاة مستقبل القبلة أو المأمومين فلم يكن ذلك من هديه ﷺ » لا أدرى ما معناه وما مراده بهذا إلا أن يقال إنه نفاه لقيد استمرار المصلّى القبلة وإيراده عقب السلام كما قال الحافظ .

وقلت : بين الحكايتين فرق فالحافظ يحكى كلامه بلفظ « أما الدعاء بعد السلام من الصلاة مستقبل القبلة سواء الامام والمنفرد والمأموم فإنه لم يكن ذلك من هدى النبى ﷺ أصلاً » وأما هذا الشيخ فحكاه بلفظ « وأما الدعاء بعد السلام من الصلاة مستقبل القبلة أو المأمومين فلم يكن ذلك من هديه ﷺ » وبين المفهومين اختلاف فإن مفهوم ما حكاه الحافظ ابن القيم ينكر الدعاء بعد المكتوبة مستقبل القبلة للإمام والمأموم والمنفرد ولا ينكر إذا انصرفوا عن القبلة واشتغلوا بالاذكار المشروعة بعد الصلاة أما مفهوم ما حكاه هذا الشيخ فهو ينكر دعاء الامام فقط سواء كان مستقبل القبلة أو المأمومين .

والذى وجدت فى نسخ زاد المعاد هو ما يوافق حكاية الشيخ وعليه فالتوجيه الذى ارتضاه هو أنه نفاه بقيد الاستمرار لاستقبال المصلّى القبلة وإيراده عقب السلام وأما إذا انقل بوجهه أو قدم الاذكار المشروعة فلا يمتنع عنده الإتيان بالدعاء حينئذ لأنه يأباه نص قوله «مستقبل القبلة أو المأمومين» فإن فيه دلالة واضحة على أن الإمام

ابن القيم ينفي الدعاء مستقبل القبلة والمؤمنين وأما الحافظ ابن حجر فمعدود في توجيهه فلعله اطلع على نسخة فيها لفظ سواء الامام والمنفرد والمأموم ومع هذا فالذي يميل إليه قلبي ان ابن القيم نفى الدعاء بهيئة الاجتماع بقيد اجتماع الامام والمؤمنين وحمل الادعية الواردة دبر الصلوات المكتوبات على حالة الانفراد .

وحكى الحافظ ابن حجر عن ابن القيم كلامه في الهدى النبوي وهو ان الدعاء بعد السلام من الصلاة مستقبل القبلة سواء الامام والمنفرد والمأموم لم يكن ذلك من هدى النبي ﷺ أصلاً ولا روى عنه باسناد صحيح ولا حسن وخص بعضهم ذلك بصلاة الفجر والعصر ولم يفعله النبي ﷺ ولا الخلفاء بعده ولا أرشد اليه أمته وإنما هو استحسان رآه عوضاً من السنة بعدهما .

قال وعامة الأدعية المتعلقة بالصلاة انما فعلها فيها وأمر بها فيها وهذا هو اللائق بحال المصلي فانه يقبل على ربه مناجياً فاذا سلم منها انقطعت المناجاة وانتهى موقفه وقربته فكيف يترك سؤاله في حال مناجاته والقرب منه وهو مقبل عليه ثم يسأل اذا انصرف عنه .

لكن الاذكار الواردة بعد المكتوبة يستحب لمن أتى بها أن يصلي على النبي ﷺ بعد أن يفرغ منها ويدعو بما شاء ويكون دعاءه عقب هذه العبادة الثانية وهي الذكر لا لكونه دبر المكتوبة .

قال الحافظ وما ادعاه من النفي مطلقاً مردود فقد ثبت عن معاذ بن جبل ان النبي ﷺ قال له : يا معاذ اني احبك فلا تدع دبر كل صلاة ان تقول : اللهم أعنني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك . أخرجه ابو داود والنسائي وصححه ابن حبان والحاكم . وحديث أنى بكرة في قول : اللهم انى أعوذ بك من الكفر والفقر وعذاب القبر كان النبي ﷺ يدعو بهن دبر كل صلاة . أخرجه أحمد والترمذي والنسائي وصححه الحاكم . وحديث سعد في باب التعوذ من البخل فان في بعض طرقه المطلوب . وحديث زيد بن أرقم سمعت رسول الله ﷺ يدعو في دبر كل صلاة اللهم انت ربنا ورب كل شيء الحديث أخرجه أبو داود والنسائي . وحديث صهيب رفعه كان يقول إذا انصرف من الصلاة اللهم أصلح لي ديني الحديث أخرجه النسائي وصححه ابن حبان ، وغير ذلك فإن قيل المراد بدبر كل صلاة قرب آخره

وهو التشهد قلنا قد ورد الأمر بالذكر دبر كل صلاة والمراد به بعد السلام إجماعاً فكذا هذا حتى يثبت ما يخالفه .

وقد أخرج الترمذى من حديث أنى أمانة قيل يارسول الله أى الدعاء اسمع قال جوف الليل الأخير ودبر الصلوات المكتوبات وقال حسن . وأخرج الطبرى من رواية جعفر بن محمد الصادق قال الدعاء بعد المكتوبة أفضل من الدعاء بعد النافلة كفضل المكتوبة على النافلة .

قال وفهم كثير ممن لقينا من الحنابلة أن مراد ابن القيم نفى الدعاء بعد الصلاة مطلقاً وليس كذلك فإن حاصل كلامه انه نفاه بقيد استمرار استقبال المصلى القبلة وإيراده بعد السلام وأما إذا انتقل بوجهه أو قدم الأذكار الشرعية فلا يمتنع عنده الإتيان بالدعاء حينئذ .

قلت وقد أشكل كلام ابن القيم بأن الدعاء بعد السلام مستقبل القبلة أو المأمومين لم يكن من هديه على بعض المتأخرين فقال: لا أدري ما معناه وما مراده بهذا إلا أن يقال إنه نفاه بقيد استمرار استقبال المصلى القبلة وإيراده عقب السلام كما قال الحافظ .

وقد تعقبنا بأن الحافظ يحكى عنه أنه قال الدعاء بعد السلام مستقبل القبلة سواء الإمام والمنفرد والمأموم وأما الشيخ فحكاه بلفظ مستقبل القبلة أو المأمومين وبين اللفظين اختلاف فمفهوم اللفظ الذى حكاه الحافظ عن ابن القيم انه ينكر الدعاء بعد المكتوبة مستقبل القبلة للإمام والمأموم والمنفرد ولا ينكر اذا انصرفوا عن القبلة وأما مفهوم اللفظ الذى حكاه الشيخ فهو ينكر دعاء الإمام فقد حال استقباله القبلة أو المأمومين .

وقلنا ان الذى وجدناه فى نسخ زاد المعاد هو اللفظ الأخير اذن فالتوجيه الذى ارتضاه الشيخ بأنه نفاه بقيد استمرار استقبال المصلى القبلة غير جيد لأنه يأباه نص قوله : مستقبل القبلة أو المأمومين كما هو فى نسخ زاد المعاد وكما نقله هذا الشيخ فإن فيه دلالة على أنه ينفى استقبال المأمومين أيضاً فكيف يقال إنه أراد إستقبال القبلة واستمرار ذلك .

ولعلّ عذر الحافظ أنه ليس فى نسخته التى نقل منها إلا لفظ الإمام والمنفرد والمأموم فلذلك علله بقيد استمرار إستقبال المصلى القبلة فهذا التوجيه يتجه باللفظ

الذى حكاه الحافظ دون اللفظ الذى حكاه هذا الشيخ .

والتوجيه عندى هو ما أسلفنا من أن ابن القيم نفى الدعاء بقيد اجتماع الامام والمؤمنين على الدعاء بحيث يدعو الإمام ويؤمن المؤمنون سواء كان الامام مستقبل القبلة أم مستقبل المؤمنين وحمل الأدعية الواردة دبر الصلوات المكتوبات على حالة الانفراد أعنى انفراد الإمام والمؤمن وهذا هو الذى نحن بصدده أما القول بعدم مشروعية الدعاء بعد الصلاة مطلقا فترجمة البخارى معقودة للرد عليه وقد سبق ذكرها ولا نفى ذلك أصلا وإنما ننكر الدعاء بهيئة الاجتماع على الالتزام فقط .

وقد ذكر ابن القيم فى الهدى النبوى أيضا حديث على رضى الله عنه فى الدعاء عند السلام من الصلاة ولفظه عند أبى داود قال : ان رسول الله ﷺ كان اذا سلم من الصلاة قال : اللهم اغفر لى ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت وما أنت أعلم به منى أنت المقدم وأنت المؤخر لا إله إلا أنت . وهذه قطعة من حديث طويل رواه مسلم فى استفتاحه عليه الصلاة والسلام وما كان يقول فى ركوعه وسجوده ولمسلم فيه لفظان أحدهما أن النبى ﷺ كان يقول بين التشهد والتسليم وهذا هو الصواب والثانى أنه كان يقوله بعد السلام . قال ابن القيم ولعله كان يقوله فى الموضعين والله أعلم .

وقال أيضا إنه أوصى معاذاً أن يقول فى دبر كل صلاة اللهم أعنى على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك قال ودبر الصلاة يحتمل قبل السلام وبعده وكان شيخنا يرجح أن يكون قبل السلام فراجعته فقال دبر كل شىء منه كدبر الحيوان .

أما التفصيل فأتى المستدل للجواز بثلاثة أنواع من الاستدلال النوع الاول الاجماع والنوع الثانى عدم ورود النهى عنه فى الشرع والنوع الثالث القياس . أما النوع الأول فزعم المستدل انه مازال معمولاً به فى جميع أقطار الأرض أو فى جلها من الأئمة فى مساجد الجماعات من غير نكير إلا نكير أبى عبد الله — ثم أخذ فى ذمه — والجواب عنه أن هذا النقل تهور بلا شك لأنه نقل اجماع يجب على الناظر فيه والمحتج به قبل التزام عهده أن يبحث عنه بحث أصل عن الاجماع لانه لا بد من النقل عن جميع المجتهدين من هذه الأمة من أول زمان الصحابة رضى الله عنهم إلى الآن . هذا أمر مقطوع به . ولا خلاف انه لا اعتبار باجماع العوام وان ادعوا الامامة

وقوله : من غير نكير ، تجوز بل ما زال لأنكر عييبهم من لائمة فقد نقل الطرطوشي عن مالك في ذلك أشياء تخدم المسألة فحصل إنكار مالك لها في زمانه وإنكار الإمام الطرطوشي في زمانه واتبع هذا أصحابه وهذا انقراى قد عد ذلك من البدع المكروهة على مذهب مالك وسلمه ولم ينكر عليه أهل زمانه فيما نعلمه مع زعمه أن من البدع ما هو حسن ثم الشيوخ الذين كانوا بالاندلس حين دخلتها هذه البدعة حسبما يذكر بحول الله قد أنكروها وكان من معتقدتهم في ذلك أنه مذهب مالك وكان الزاهد أبو عبد الله بن مجاهد وتلميذه أبو عمران ملتزمين لتركها حتى اتفق للشيخ أئى عبد الله في ذلك ما سنذكره إن شاء الله .

قال الشاطبى قال بعض شيوخنا راداً على بعض من نصر هذا العمل فانا قد شاهدنا العمل من الأئمة الفقهاء الصالحاء المتبعين للسنة المتحفظين بأمور دينهم يفعلون ذلك أئمة ومأمومين ولم نر ذلك إلا من شذ في أحواله فقال وأما احتجاج منكر ذلك بأن هذا لم يزل الناس يفعلونه فلم يأت بشيء لأن الناس الذين يقتدى بهم ثبت أنهم لم يكونوا يفعلونه ولما كانت البدع والمخالفات وتواطأ الناس عليها صار الجاهل يقول لو كان هذا منكراً لما فعله الناس .

ثم حكى أثر الموطأ : ما أعرف شيئاً مما أدركت عليه الناس إلا النداء بالصلاة قال فإذا كان هذا في عهد التابعين يقول كثرت الأحداث فكيف بزماننا . ثم هذا الإجماع لو ثبت لزم منه محذور لأنه مخالف لما نقل عن الأولين من تركه فصار نسخ إجماع بأجماع ، وهذا مخالف للأصول وايضاً فلا تكون مخالفة المتأخرين لإجماع المتقدمين على سنة حجة على تلك السنة أبداً . ثم عضد هذا المستدل ما ادعاه بأشياء من جملتها قوله : ومن أمثال الناس « أخطىء مع الناس ولا تصب وحدك » قال ومعنى ما جاء في حديث : عليك بالجماعة فانما يأكل الذئب من الغنم العاقبة فجعل تارك الدعاء على الكيفية المذكورة مخالفاً للإجماع كما ترى وحض على اتباع الناس وترك المخالفة لقوله عليه الصلاة والسلام : لا تختلفوا فتختلف قلوبكم وكل ذلك مبنى على الإجماع الذى ذكروا أن الجماعة هم جماعة الناس كيف كانوا والحال ان معنى الجماعة المذكورة في حديث الفرق الجماعة المتبعة للسنة وان كان رجلاً واحداً في العالم .

قال بعض الحنابلة لا تعبأ بما يعرض من المسائل ويدعى فيها بالصحة بمجرد التهويل أو بدعوى أن لا خلاف في ذلك فقال لا يعلم أحدا قال فيها بالصحة فضلا عن نفى الخلاف فيها وليس الحكم فيها من الجليات التي لا يقدر المخالف ردها وفي مثل هذه المسائل قال الإمام أحمد من ادعى الإجماع فهو كاذب وإنما هذه دعوى كثير وابن علية يريدون أن يطلوا السنن بذلك .
ومراد الإمام أحمد أن المتكلمين في الفقه من أهل البدع اذا ناظرتهم بالسنن والآثار قالو هذا خلاف الإجماع وذلك القول الذي يخالف ذلك الحديث ولا يحفظونه إلا عن بعض فقهاء المدينة أو فقهاء الكوفة مثلا فيدعون الإجماع من قلة معرفتهم بأقوال العلماء واجترأهم على رد السنن بالآراء حتى كان بعضهم تسرد عليه الأحاديث الصحيحة في خيار المجلس ونحوه من الأحكام فلا يجد لها معتصما إلا ان يقول هذا لم يقل به أحد من العلماء وهو لا يعرف إلا أبا حنيفة أو مالكا ولم يقولوا بذلك ولو كان له علم لرأى من الصحابة والتابعين وتابعيهم ممن قال بذلك خلقا كثيرا .

ففى هذا الكلام أرشاد لمعنى ما نحن فيه وأنه لا ينبغي ان ينقل حكم شرعى من أحد من أهل العلم إلا بعد تحققه والتثبت منه لأنه مخبر عن حكم الله فأياكم والتساهل فإنه مظنة الخروج عن الطريق الواضح إلى السيئات . ثم عد المستدل من المفاسد في مخالفة الجمهور أنه يرميهم بالتجيهل والتضليل وهذه دعوى من خالفه فيما قال وعلى تسليمها فليست بمفسدة على فرض اتباع السنة وقد جاء عن السلف الحض على العمل بالحق وعدم الاستيحاش من قلة أهله .

وعد المستدل من المفاسد الخوف من فساد النية بما يدخل عليه من العجب والشهرة المنهى عنها فكأنه يقول اترك اتباع السنة في زمان الغربة خوف الشهرة ودخول العجب وهذا شديد من القول وهو معارض بمثله فإن انتصابه لا يكون داعيا للناس بأثر صلواتهم دائما مظنة لفساد النية بما يدخل عليه من العجب والشهرة وهو أولى في طريق الاتباع فصار تركه للدعاء لهم مقروناً بالاعتداء بخلاف الداعى فانه في غير طريق من تقدم فهو اقرب إلى فساد نيته .

وعد المستدل أيضا منها ما يظن به من القول برأى أهل البدع القائلين بأن الدعاء غير نافع وهذا كالذى قبله لأنه يقول للناس اتركوا اتباع النبى ﷺ في ترك الدعاء بهيئة الاجتماع بعد الصلوات لئلا يظن بكم الابتداع وهذا كما ترى .

وأيضاً فلو اعتبر ما قال لزم اعتباره بمثله في كل من أنكر الدعاء بهيئة الاجتماع يوم عرفة من غير عرفة ومنهم نافع مولى ابن عمر ومالك والليث وعطاء وغيرهم من السلف ولما كان ذلك غير لازم فمسألتنا كذلك .

ثم ختم هذا المستدل هذا الاستدلال الاجماعي بقوله : قد اجتمع أئمة الاسلام في مساجد الجماعات في هذه الاعصار في جميع الاقطار على الدعاء ادبار الصلوات فيشبه أن يدخل ذلك مدخل حجة إجماعية عصرية فإن أراد هذا المستدل الدعاء على هيئة الاجتماع دائماً لا يترك كما يفعل بالسنن وهي مسألتنا المعروضة فقد تقدم ما فيه .

اما النوع الثاني من الاستدلال فهو انه زعم المستدل أن الدعاء على ذلك الوجه لم يرد في الشرع نهى عنه مع وجود الترغيب فيه على الجملة ووجود العمل به . قال : فان صح ان السلف لم يعملوا به فالترك ليس بموجب الحكم في المتروك إلا جواز الترك وانتفاء الحرج خاصة ، ولا تحريم ولا كراهية . والجواب عنه : أن جميع ما قاله هذا المستدل مشكل على قواعد العلم وخصوصاً في العبادات التي هي مسألتنا إذ ليس لأحد من خلق الله أن يخترع في الشريعة من رأيه أمراً لا يوجد عليه منها دليل لأنه عين البدعة وهذا كذلك اذ لا دليل فيها على اتخاذ الدعاء جهراً للحاضرين في آثار الصلوات دائماً على حد ما تقام بحيث يعد الخارج عنه خارجاً عن جماعة أهل الاسلام متحيزاً أو متميزاً وكل ما لا يدل عليه دليل فهو البدعة .

وعلى هذا فان ذلك الكلام يوهم ان اتباع المتأخرين المقلدين خير من اتباع الصالحين من السلف ولو كان في الأمر جائزاً فكيف اذا كان في أمرين احدهما متيقن أنه صحيح والآخر مشكوك فيه فيتبع المشكوك في صحته ويترك ما لا مزية في صحته . ثم أتى الراد بأوجه : أحدها أن الدعاء بهذه الهيئة ليظهر وجه التشريع في الدعاء وأنه بآثار الصلوات مطلوب .

والجواب عنه أن ما قاله يقتضى أن يكون سنة بسبب الدوام والظهار في الجماعات والمساجد وليس بسنة اتفاقاً منا ومنه فانقلب إذا وجه التشريع وأيضاً فان اظهار التشريع كان في زمان النبي ﷺ أولى فكانت الكيفية المتكلم فيها أولى للاظهار ولما لم يفعله عليه الصلاة السلام دل على الترك مع وجود المعنى المقتضى فلا يمكن بعد زمانه في تلك الكيفية ألا الترك .

وثانيها أن الامام يجمعهم على الدعاء ليكون باجتماعهم اقرب الى الاجابة والجواب عنه ان هذه العلة كانت في زمانه عليه الصلاة والسلام لانه لا يكون أحد اسرع اجابة لدعائه منه إذ كان مجاب الدعوة بلا إشكال بخلاف غيره وان عظم قدره في الدين فلا يبلغ رتبته فهو كان أحق بأن يزيدهم الدعاء لهم خمس مرات في اليوم والليلة زيادة إلى دعائهم لانفسهم .

وأيضاً فكيف يكون قصد الاجتماع على الدعاء بعد زمانه أبلغ في البركة من اجتماع يكون فيه سيد المرسلين ﷺ واصحابه وكانوا بالتنبه لهذه المنفعة أولى .

وثالثها : قصد التعليم للدعاء ليأخذوا من دعائه ما يدعون به لأنفسهم لئلا يدعوا بما لا يجوز عقلاً او شرعاً .

والجواب عنه : ان هذا التعليل لا ينهض فان النبي ﷺ كان المعلم الاول فعنه تلقينا ألفاظ الأدعية ومعانيها ولم يشرع لهم دعاء بهيئة الاجتماع في آثار الصلوات دائماً أو يعنهم على التعليم اذا صلوا معه بل علم في مجالس التعليم ودعا لنفسه إثر الصلاة حين بدا له ذلك ولم يلتفت إذ ذاك الى النظر للجماعة وهو كان أولى الخلق بذلك .

ورابعها أن في الاجتماع على الدعاء تعاوناً على البر والتقوى وهو مأمور به والجواب عنه : أن هذا الاجتماع ضعيف فإن النبي ﷺ هو الذي أنزل عليه « وتعاونوا على البر والتقوى » وكذاك فعل ولو كان الاجتماع للدعاء اثر الصلوات جهراً للحاضرين من باب البر والتقوى لكان أول سابق إليه لكنه لم يفعله أصلاً ولا احد بعده حتى حدث ما حدث فدل على أنه ليس على ذلك الوجه بر ولا تقوى .

وخامسها ان عامة الناس لا علم لهم باللسان العربى فرمما لحن فيكون اللحن سبب عدم الاجابة .

والجواب عنه : أن هذا الاجتماع إلى اللعب أقرب منه إلى الجدد وأقرب ما فيه أن ليس أحد من العلماء يشترط في الدعاء أن لا يلحن كما يشترط الاخلاص وصدق توجيه القلب وعزم المسألة وغير ذلك من الشروط بل ربما يكون اللحن معفواً عنه أفلا يرى أن رجلاً قال : اللهم أنت عبدى وأنا ربك فاغفرلى فغفر الله له .

وتعلم اللسان العربى لاصلاح الالفاظ فى الدعاء وان كان الامام أعرف به هو سار بما يحتاج اليه الانسان من أمر دينه فان كان الدعاء مستحبا للقراءة واجبة والفقه فى الصلاة كذلك فان كان تعليم الدعاء اثر الصلاة مطلوبوا فتعليم فقه الصلاة أكد فكان من حقه أن يجعل ذلك فى وظائف الصلاة . فإن قيل يوجبه المحرف المتعارف فهذه القاعدة تجتث أصله لأن السلف الصالح كانوا أحق بالسبق إلى فضله لجميع ما ذكر من الفوائد .

ولذلك قال مالك فيها : أترى الناس اليوم كانوا أرغب فى الخير ممن مضى وهذه اشارة الى الاصل المذكور وهو أن المعنى المقتضى للاحداث وهو الرغبة فى الخير كان أتم فى السلف الصالح وهم لم يفعلوه فدل على انه لا يفعل .

قال الشاطبى : وأما ما ذكر هذا المستدل للجواز من آداب الدعاء فكله مما لا يتعين له اثر الصلوات بدليل ان رسول الله ﷺ علم منها جملة كافية ولم يعلم منها شيئا اثر الصلوات ولا تركهم دون تعليم ليأخذوا ذلك منه فى آخر الصلاة . أو ليستغثوا بدعائه عن تعليم ذلك ومع ان الحاضرين لا يحصل لهم من الامام فى ذلك كبير شئ وان حصل فلمن كان قريبا منه دون من بعد .

واما النوع الثالث من الاستدلال على جواز الدعاء بهيئة الاجتماع بعد الصلوات المكتوبات فهو انه استدل هذا المستنصر بالقياس فقال : وان صح ان السلف لم يعملوا به فقد عمل السلف بما لم يعمل به من قبلهم بما هو خير وقد قال عمر بن عبد العزيز : تحدث للناس قضية بقدر ما أحدثوا من الفجور فكذلك تحدث لهم من رغبات فى الخير بقدر ما أحدثوا من الفتور .

والجواب عنه : ان هذا الاستدلال غير جار على الاصول فأما أولا فلأنه فى مقابلة النص فذلك من فساد الاعتبار واما ثانيا فانه قياس على نص لم يثبت بعد من طريق مرضى وأما ثالثا فإن كلام عمر بن عبد العزيز فرع اجتهادى جاء عن رجل مجتهد يمكن أن يخطئ فيه كما يمكن أن يصيب وإنما حقيقة الأصل أن يأتي عن النبي ﷺ أو عن أهل الاجماع وهذا ليس عن واحد منهما . على أن قوله ان السلف عملوا بما لم يعمل به من قبلهم فحاش لله ان يكونوا ممن يدخل تحت هذه الترجمة . وقوله

« بما هو خير » فأما بالنسبة إلى السلف فما عملوا خير ، وأما فرعه المقيس فكونه خيراً دعوى لأن كون الشيء خيراً أو شراً لا يثبت إلا بالشرع فهل الدعاء على تلك الهيئة خير شرعاً .

وأما القياس على قوله : تحدث للناس أقضية ففى محذور هوالتصريح بأن إحداث العبادات جائز قياساً على قول عمر وإنما كلام عمر بعد تسليم القياس عليه فى معنى عادى يختلف فيه مناط الحكم الثابت فيما تقدم كتضمنين الصنيع أو الظنة فى توجيه الايمان فإن الأولين كانوا توجهت عليهم بعض الأحكام لصحة الأمانة والديانة والفضيلة فلما حدثت اضدادها اختلف المناطق فوجب اختلاف الحكم وهو حكم رادع لأهل الباطل عن باطلهم فأثر هذا المعنى ظاهر مناسب بخلاف ما نحن فيه فإنه على الضد من ذلك ألا ترى أن الناس إذا وقع فيهم الفتور عن الفرائض فضلاً عن النوافل وهى ما هى من القلة والسهولة فما ظنك بهم اذا زيد عليهم اشياء يرغبون فيها ويحضون على استعمالها فلا شك أن الوظائف تتكاثر حتى يؤدى إلى أعظم من الكسل الأول وإلى ترك الجميع فإن حدث للعامل بالبدعة هو فى بدعته أو لمن شايعه فيها فلا بد من عروض الكسل له فى غيرها من الأولى بالأولى فنحن نعلم أن لساها ليلة النصف من شعبان لتلك الصلاة المحدثه لا يأتية الصبح إلا وهو نائم أو فى غاية الكسل فيخل بصلاة الصبح .

وكذلك سائر المحدثات فصارت هذه الزيادة عائدة على ما هو أولى منها بالابطال أو الاخلال وقد تقرر أنه ما من بدعة تحدث إلا ويموت من السنة ما هو خير منها ، وأيضاً فإن هذا القياس مخالف لأصل شرعى وهو طلب النبى ﷺ بالسهولة والرفق والتيسير وعدم التشديد وزيادة وظيفة لم تشرع فتظهر ويعمل بها دائماً فى مواطن السنن فهى تشديد بلا شك وإن سلمنا ما قال فقد وجد كل مبتدع من العامة السبيل الى احداث البدع واخذ هذا الكلام حجة بيده وبرهاناً على صحة ما يحدثه كائناً ما كان وهو مرمى بعيد .

قال الشاطبى ثم استدلل المستدل للجواز على جواز الدعاء اثر الصلاة فى الجملة ونقل عن مالك وغيره انواعاً من الكلام وليس هذا محل النزاع بل جعل الادلة

شاملة لتلك الكيفية المذكورة وعقب ذلك بقوله : وقد تظاهرت الاحاديث الواردة والآثار وعمل الناس وكلام الفقهاء على هذا المعنى كما قد ظهر ومن المعلوم أنه عليه الصلاة والسلام كان الامام في الصلوات وانه لم يكن ليخص نفسه بتلك الدعوات إذ قد جاء في سنته : لا يحل لرجل ان يؤم قوماً الا باذنهم ولا يخص نفسه بدعوة دونهم فان فعل فقد خانهم .

والجواب عنه : ان عامة الخصوص فيما يسمع من ادعيته أديار الصلاة انما كان دعاء لنفسه وهذا المستدل يقول في كلامه انه لم يكن يخص نفسه بالدعاء دون الجماعة وهذا تناقض وانما حمل الناس الحديث على دعاء الامام في نفس الصلاة من السجود وغيره لا فيما حمله عليه هذا المتأول ولما لم يصح العمل بذلك الحديث عند مالك أجاز للإمام ان يخص نفسه بالدعاء دون المأمومين ذكره في النوادر انتهى كلام الشاطبي بتصرف يسير فيه .

وقال الإمام الشافعي في الأم : وأستحب أن يذكر الامام ان شاء في مجلسه قدر ما يتقدم من انصرف من النساء قليلاً كما قالت ام سلمة ثم يقوم وان قام قبل ذلك أو جلس فلا شيء عليه وللمأموم ان ينصرف اذا قضى الامام السلام قبل قيام الامام وان يؤخر ذلك حتى ينصرف بعد انصراف الامام أو معه أحب الى له .

وأستحب للمصلي منفرداً وللمأموم ان يطيل الذكر بعد الصلاة ويكثر الدعاء رجاء الاجابة بعد المكتوبة .

وقال المزني في مختصره : قال الشافعي : وان كان وحده لم أكره ان يطيل ذكر الله وتمجيده والدعاء رجاء الاجابة ثم يسلم عن يمينه السلام عليكم ورحمة الله ثم عن شماله السلام عليكم ورحمة الله حتى يرى خداه ويشب ساعة يسلم إلا أن يكون معه نساء لينصرفن قبل الرجال وينصرف حيث شاء عن يمينه وشماله .

وسئل شيخ الإسلام ابن تيمية عن الدعاء عقب الصلاة هل هو سنة أم لا ومن أنكر على إمام لم يدع عقيب صلاة العصر هل هو مصيب أم مخطيء فأجاب بما نصه : لم يكن النبي ﷺ يدعو هو والمأمومون عقيب الصلوات الخمس كما يفعله

بعض الناس عقيب الفجر والعصر ولا نقل ذلك عن أحد ولا استحباب ذلك أحد من الأئمة . . . ومن نقل عن الشافعي انه أستحب ذلك فقد غلط عليه ولفظه الموجود في كتبه يناق ذلك وكذلك احمد وغيره من الأئمة لم يستحبوا ذلك ولكن طائفة من أصحاب احمد وأبي حنيفة وغيرهما استحبا الدعاء بعد الفجر والعصر .

قالوا لأن هاتين الصلاتين لا صلاة بعدهما فتعوض بالدعاء من الصلاة وأستحبت طائفة أخرى من أصحاب الشافعي وغيره والدعاء عقيب الصلوات الخمس وكلهم متفقون على أن من ترك الدعاء لم ينكر عليه ومن أنكر عليه فهو مخطيء فاتفق العلماء هذا ليس مأمورا به ولا أمر يجاب ولا أستجباب في هذا الموطن والمنكر على التارك بالانكار منه بل الفاعل أحق بالانكار فان المداومة على ما لم يكن النبي ﷺ يداوم عليه في الصلوات الخمس ليست مشروعة بل مكروهة كما لو داوم على الدعاء قبل الدخول في الصلوات أو داوم على القنوت في الركعة الأولى أو في الصلوات الخمس أو على دوام الجهر بالاستفتاح في كل صلاة ونحو ذلك فانه مكروه وان كل القنوت في الصلوات الخمس قد فعله النبي ﷺ احيانا وقد كان عمر يجهر بالاستفتاح وجهر رجل خلف النبي ﷺ بنحو ذلك فأقره عليه فليست كل ما تشرع المداومة عليه ولو دعا الامام والمأمومون احيانا عقيب الصلاة لأمر عارض لم يعد هذا مخالفا للسنة كالذى يداوم على ذلك والاحاديث الصحيحة تدل على ان النبي ﷺ كان يدعو دبر الصلاة قبل السلام ويأمر بذلك كما قد بسطنا الكلام في ذلك وذكرنا ما فيه من الاحاديث وما يظن ان فيه حجة للمنازع في غير هذا الموضوع .

وذلك لأن المصلي يناجي ربه فإذا سلم انصرف عن مناجاته ، ومعلوم أن سؤال السائل لربه حال مناجاته هو الذي يناسب دون سؤاله بعد انصرافه كما أن من كان يخاطب ملكا أو غيره فإن سؤاله له وهو مقبل على مخاطبته أولى من سؤاله له بعد انصرافه عنه .

واما حديث عقبة بن عامر قال أمرني رسول الله ﷺ ان اقرأ بالمعوذات دبر كل صلاة فهذا أبعد الخروج منه وأما حديث أبي أمامة قال قيل يارسول الله ﷺ أى دعاء أسمع قال جوف الليل الاخير ودبر الصلوات المكتوبة وحديث معاذ بن جبل

أن رسول الله ﷺ أخذ بيده فقال يا معاذ والله نى لأحبك فلا تدعن دبر كل صلاة أن تقول : « اللهم أعنى على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك » فقد ورد السؤال عنها على شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى بأن هذه الأحاديث تدل على أن الدعاء بعد الخروج من الصلاة سنة فأفتونا وابسطوا القول فى ذلك مأمورين فأجاب :

الأحاديث المعروفة فى الصحاح والسنن والمسانيد تدل على أن النبى ﷺ كان يدعو دبر صلاته قبل الخروج منها ، وكان يأمر أصحابه بذلك ويعلمهم ذلك ولم ينقل أحد أن النبى ﷺ كان إذا صلى بالناس يدعو بعد الخروج من الصلاة هو والمؤمنون جميعا لا فى الفجر ولا فى العصر ولا فى غيرهما من الصلوات بل قد ثبت عنه أنه كان يستقبل أصحابه ويذكر الله ويعلمهم ذكر الله عقيب الخروج من الصلاة .

ففى الصحيح أنه كان قبل أن ينصرف يستغفر ثلاثا ويقول : اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال والإكرام .

وفى الصحيحين من حديث المغيرة بن شعبة أنه كان يقول لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطى لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد .

وفى الصحيح من حديث ابن الزبير أن النبى ﷺ كان يهمل بهؤلاء الكلمات « لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير لا حول ولا قوة الا بالله ولا اله الا الله ولا نعبد الا إياه له النعمة وله الحمد وله الفضل وله الثناء الحسن لا اله الا الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون » .

وفى الصحيح ايضا عن ابن عباس أن رفع الناس اصواتهم بالذكر كان على عهد النبى ﷺ وفى لفظ كنا نعرف انقضاء صلاته بالتكبير . والأذكار التى كان النبى ﷺ يعلمها للمسلمين بعد الصلاة انواع احدها : أن يسبح ٣٣ ويحمد ٣٣ ويكبر ٣٣ فتلك تسع وتسعون ويقول تمام المائة لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير رواه مسلم فى صحيحه .

والثاني يقولها ٢٥ ويضم إليها لا إله الا الله . رواه مسلم أيضا في صحيحه .

والثالث يقول الثلاثة ثلاثا وثلاثين وهذا على وجهين أحدهما أن يقول كل واحدة ثلاثا وثلاثين والثاني أن يقول كل واحدة احدى عشرة مرة والثلاث والثلاثون في الحديث المتفق عليه في الصحيحين .

والرابع : يكبر ٣٤ ليتم مئة .

والخامس : يقول الثلاثة عشرا عشرا فهذا هو الذى مضت به السنة النبوية وذلك مناسب لان المصلى يناجى ربه فدعاؤه له ومسالته إياه وهو يناجيه أولى به من مسألته ودعائه بعد انصرافه عنه واما الذكر بعد الانصراف فكما قالت عائشة رضى الله عنها هو مثل مسح المرأة بعد صقالتها فان الصلاة نور فهى تصقل القلب كما تصقل المرأة ثم الذكر بعد ذلك بمنزلة مسح المرأة .

وقد قال الله تعالى : « فاذا فرغت فانصب والى ربك فارغب » قيل اذا فرغت من اشغال الدنيا فانصب فى العبادة وهذا أشهر القولين .

وخرج شريح القاضى على قوم من الحاكة يوم عيد وهم يلعبون فقال مالكم تلعبون قالوا انا تفرعنا قال أو بهذا أمر وتلا قوله تعالى : فاذا فرغت فانصب « يناسب هذا قوله تعالى : « يأيها المزمحل قم الليل إلا قليلا » إلى قوله : « إن لك فى النهار سبحا طويلا » اى ذهابا ومجيئا وبالليل تكون فارغا وناشئة الليل فى اصح القولين انما تكون بعد النوم يقال نشأ إذا قام بعد النوم فإذا قام بعد النوم كانت مواطأة قلبه بلسان اشد لعدم ما يشغل القلب وزوال اثر حركة النهار بالنوم .

وقد قيل اذا فرغت من الصلاة فانصب فى الدعاء والى ربك فارغب وهذا القول سواء كان صحيحا او لم يكن فانه يمنع الدعاء فى آخر الصلاة لا سيما والنبي ﷺ هو المأمور بهذا فلا بد ان يمثل ما أمره الله به ودعاؤه فى الصلاة المنقول عنه فى الصحاح وغيرها انما كان قبل الخروج من الصلاة وقد قال لاصحابه فى الحديث الصحيح « إذا تشهد احدكم فليستعذ بالله من أربع يقول : اللهم انى اعوذ بك من

عذاب جهنم ومن عذاب القبر ومن فتنة المحيا والممات ومن فتنة المسيح الدجال .

وفي حديث ابن مسعود الصحيح لما ذكر التشهد قال : ثم يتخير من الدعاء أعجبه إليه . وقد روت عائشة وغيرها دعاءه في صلاته بالليل وأنه كان قبل الخروج من الصلاة فقول من قال : « إذا فرغت من الصلاة فانصب » في الدعاء يشبه قول من قال في حديث ابن مسعود لما ذكر التشهد فاذا فعلت ذلك فقد قضيت صلاتك فان شئت ان تقوم فقم وان تقعد فاقعد وهذه الزيادة سواء كانت من كلام النبي ﷺ او من كلام من أدرجها في حديث ابن مسعود كما يقول ذلك من ذكره من الأئمة في الحديث ففيها أن قائل ذلك جعل ذلك قضاء للصلاة فهكذا جعله هذا المفسر فراغا من الصلاة مع أن تفسير قوله . فاذا فرغت فانصب « أي فرغت من الصلاة قول ضعيف فإن قوله : « إذا فرغت » مطلق ولأن الفارغ أن أريد به الفارغ من العبادة فالدعاء ايضا عبادة وان اريد به الفراغ من أشغال الدنيا بالصلاة فليس كذلك .

وبوضح ذلك أنه لا نزاع بين المسلمين أن الصلاة يدعى فيها كما كان النبي صلى الله عليه وسلم يدعو فيها فقد ثبت عنه في الصحيح أنه كان يقول في دعاء الاستفتاح اللهم باعد بيني وبين خطاياي كما باعدت بين المشرق والمغرب اللهم نقني من خطاياي كما ينقى الثوب الأبيض من الدنس اللهم اغسلني بالماء والثلج والبرد . وانه كان يقول اللهم أنت الملك لا إله إلا أنت أنت ربي وانا عبدك ظلمت نفسي واعترفت بذنبي فاغفر لي ذنوبي جميعا فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت واهدني لأحسن الأخلاق فإنه لا يهدي لأحسنها إلا أنت واصرف عني سيئها فإنه لا يصرف سيئها إلا أنت .

وثبت عنه في الصحيح أنه كان يدعو إذا رفع رأسه من الركوع وثبت عنه الدعاء في الركوع والسجود سواء كان في النفل أو الفرض وتواتر عنه الدعاء آخر الصلاة وفي الصحيحين أن أبا بكر رضي الله عنه قال يارسول الله علمني دعاء أدعو به في صلاتي فقال قل : اللهم إني ظلمت نفسي ظلما كثيرا ولا يغفر الذنوب إلا أنت فاغفر لي مغفرة من عندك وارحمني إنك أنت الغفور الرحيم .

فإذا كان الدعاء مشروعاً في الصلاة لا سيما في آخرها فكيف يقول إذا فرغت من الصلاة فانصب في الدعاء والذي فرغ منه هو نظير الذي أمر به فهو في

الصلاة كان ناصبا في الدعاء لا فارغا ثم إنه لم يقل مسلم إن الدعاء بعد الخروج من الصلاة يكون أوكد وأقوى منه في الصلاة .

ثم لو كان قوله : (فانصب) في الدعاء لم يحتج إلى قوله : « وإلى ربك فارغب » فإنه قد علم أن الدعاء إنما يكون لله فعلم أنه أمر بشيئين أن يجتهد في العبادة عند فراغه من اشغاله وأن تكون رغبته إلى ربه لا إلى غيره كما في قوله (إياك نعبد وإياك نستعين) فقوله : « إياك نعبد موافق لقوله « فانصب » وقوله « إياك نستعين » موافق لقوله « وإلى ربك فارغب » ومثله قوله « فاعبده وتوكل عليه » وقوله : « قل هو ربي لا إله إلا هو عليه توكلت وإليه متاب » وقول شعيب عليه السلام « عليه توكلت وإليه انيب » .

ومنه الذي يروى عند دخول المسجد : اللهم اجعلني من أوجه من توجه إليك . وأقرب من تقرب إليك وأفضل من سألك ورغب إليك والآخر وإليك الرغبي والعمل . وذلك أن دعاء الله المذكور في القرآن نوعان دعاء عبادة ودعاء مسألة ورغبة فقوله : « فانصب وإلى ربك فارغب » يجمع نوعي دعاء الله تعالى قال عز وجل « وأنه لما قام عبد الله يدعوه كادوا يكونوا عليه لبدا » وقال « من من يدع مع الله إلهاً آخر لا برهان له به فإنما حسابه عند ربه » ونظائرها كثيرة .

وأما دبر الصلاة فقد يراد به آخر جزئه وقد يراد به ما يلي آخر جزء منه ومثله لفظ العقب قد يراد به الجزء المؤخر من الشيء كعقب الإنسان وقد يراد به ما يلي ذلك فالدعاء المذكور في دبر الصلاة إما أن يراد به آخر جزء منها ليوافق بقية الأحاديث أو يراد به ما يلي آخرها ويكون ذلك ما بعد التشهد كما سمي ذلك قضاء للصلاة وفراغاً منها حيث لم يبق إلا السلام المنافي للصلاة بحيث لو فعله عمداً في الصلاة بطلت صلاته ولا تبطل سائر الأذكار المشروعة في الصلاة أو يكون مطلقاً أو مجملاً وبكل حال فلا يجوز أن يخص به ما بعد السلام لأن عامة الادعية الماثورة كانت قبل ذلك ولا يجوز أن تشرع سنة بلفظ مجمل يخالف السنة المتواترة بالألفاظ الصريحة .

والناس لهم في هذه ثلاثة أحوال منهم من لا يرى قعود الإمام مستقبل المأموم لا بذكر ولا بدعاء ولا غير ذلك وحجتهم ما يروى عن السلف أنهم كان يكرهون

للامام ان يستلم استقبال القبلة بعد السلام فظنوا ان ذلك يوجب قيامه من مكانه ولم يعلموا ان انصرافه مستقبل المأمومين بوجه كما كان النبي ﷺ يفعل يحصل هذا المقصود وهذا يفعله من يفعله من اصحاب مالك .

ومنهم من يرى دعاء الامام والمأموم بعد السلام ثم منهم من يرى ذلك في الصلوات الخمس ومنهم من يراه في صلاة الفجر والعصر كما ذكر ذلك من ذكره من أصحاب الشافعي وأحمد وغيرهم وليس مع هؤلاء بذلك سنة وإنما غايتهم التمسك بلفظ مجمل أو بقياس كقول بعضهم ما بعد الفجر والعصر ليس بوقت صلاة فيستحب فيه الدعاء . ومن المعلوم أن ما تقدمت به سنة رسول الله ﷺ الثابتة الصحيحة بل المتواترة لا يحتاج فيه الى مجمل ولا الى قياس .

اما قول عقبة بن عامر : أمرني رسول الله ﷺ ان اقرأ بالمعوذات دبر كل صلاة فهذا بعد الخروج منها ، وأما حديث ابى امامة : قيل يا رسول الله اى الدعاء أسمع ؟ قال جوف الليل الاخير ودبر الصلوات المكتوبة فهذا يجب ان لا يخص ما بعد السلام بل لابد ان يتناول ما قبل السلام . وان قيل انه يعم ما قبل السلام وما بعده لكن ذلك لا يستلزم ان يكون دعاء الامام والمأموم جميعا بعد السلام سنة كما لا يلزم مثل ذلك قبل السلام بل اذا دعا كل واحد وحده بعد السلام فهذا لا يخالف السنة .

وكذلك قوله ﷺ لمعاذ بن جبل : لا تدعن في دبر كل صلاة أن تقول اللهم اعنى على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك يتناول ما قبل السلام واذا تناول ما بعده ايضا كما تقدم فان معاذاً كان يصلى اماما بقومه كما كان النبي ﷺ يصلى اماما وقد بعثه إلى اليمن معلما لهم فلو كان هذا مشروعا للإمام والمأموم مجتمعين على ذلك كدعاء القنوت لكان يقول اللهم أعنا على ذكرك وشكرك فلما ذكره بصيغة الافراد علم انه لا يشرع للامام والمأموم ذلك بصيغة الجمع .

ومما يوضح ذلك ما فى الصحيح عن البراء بن عازب قال كنا اذا صلينا خلف رسول الله ﷺ احببنا ان نكون عن يمينه يقبل علينا بوجهه قال فسمعته يقول : رب قنى عذابك يوم تبعث عبادك أو يوم تجمع . فهذا فيه دعاؤه ﷺ بصيغة الافراد كما فى حديث معاذ وكلاهما امام . وفيه انه كان يستقبل المأمومين وانه لا يدعو بصيغة الجمع .

وقد ذكر حديث معاذ بعض من صنف في الاحكام في الادعية في الصلاة قبل السلام موافقة لسائر الاحاديث كما في مسلم والسنن الثلاثة عن ابي هريرة ان النبي ﷺ قال : اذا فرغ احدكم من التشهد الاخير فليتعوذ بالله من اربع : من عذاب جهنم ومن عذاب القبر ومن فتنة الحيا والممات ومن فتنة المسيح الدجال .

وفي مسلم وغيره عن ابي عباس ان رسول الله ﷺ كان يعلمهم هذا الدعاء كما يعلمهم السورة من القرآن يقول : اللهم اني أعوذ بك من عذاب جهنم الخ . وفي السنن انه قال رسول الله ﷺ لرجل ما تقول في الصلاة قال أتشهد ثم اقول : اللهم اني اسألك الجنة وأعوذ بك من النار ، أما والله ما أحسن دندنتك ولا دندنة معاذ فقال ﷺ دونها ندندن رواه ابو داود وابو حاتم في صحيحه .

وظاهر هذا أن دندنتها أيضا بعد التشهد في الصلاة ليكون نظير ما قاله وعن شداد بن أوس ان رسول الله ﷺ كان يقول في صلاته : اللهم اني اسألك الثبات في الامر والعزيمة على الرشد واسألك شكر نعمتك وحسن عبادتك وأسألك قلباً سليماً ولساناً صادقاً واسألك من خير ما تعلم واعوذ بك من شر ما تعلم واستغفرك لما تعلم رواه النسائي . وفي الصحيحين عن عائشة ان النبي ﷺ كان يدعو في الصلاة اللهم اني اعوذ بك من عذاب القبر واعوذ بك من فتنة المسيح الدجال واعوذ بك من فتنة الحيا والممات اللهم اني أعوذ بك من المغرم والمأثم فقال له قائل : ما اكثر ما تستعيز يا رسول الله من المغرم قال إن الرجل إذا غرم حدث فكذب ووعد فأخلف .

قال المصنف في الأحكام : والظاهر أن هذا يدل على انه كان بعد التشهد يدل عليه حديث ابن عباس أن النبي ﷺ كان يقول بعد التشهد : اللهم اني اعوذ بك .. الخ وقد تقدم حديث ابن عباس الذي في الصحيحين انه كان يعلمهم هذا الدعاء وحديث أبي هريرة وأنه يقال بعد التشهد وقد روى في لفظ الدبر ما رواه البخاري وغيره عن سعد بن أبي وقاص أنه كان يعلم بنيته هؤلاء الكلمات كما يعلم الغلمان الكتابة ويقول ان رسول الله ﷺ كان يتعوذ بهن دبر الصلاة اللهم اني أعوذ بك من البخل وأعوذ بك من الجبن وأعوذ بك أن أرد إلى أرذل العمر وأعوذ بك من فتنة الدنيا وأعوذ بك من عذاب القبر . وفي النسائي عن أبي بكر أن النبي ﷺ

كان يقول في دبر كل صلاة : اللهم إني أعوذ بك من الكفر والفقر وعذاب القبر .
وفي النسائي أيضا عن عائشة قالت دخلت على امرأة من اليهود فقالت إن عذاب
القبر من البول فقلت كذبت فقالت بلى إنا نقرض منه الجلود والثوب فخرج رسول
الله ﷺ إلى الصلاة وقد ارتفعت أصواتنا فقال ما هذا فأخبرته بما قالت قال صدقت
فما صلى بعد يومئذ إلا قال في دبر الصلاة اللهم رب جبريل وميكائيل وإسرافيل
أجبرني من النار وعذاب القبر .

قال المصنف في الاحكام والظاهر ان المراد بدبر الصلاة في الاحاديث الثلاثة
قبل السلام توفيقا بينه وبين ما تقدم من حديث ابن عباس وإلى هريرة
قال شيخ الاسلام ابن تيمية : قلت وهذا الذي قاله صحيح فان هذا الحديث في
الصحيح من حديث عائشة ان يهودية دخلت عليها فذكرت عذاب القبر فقالت لها
اعمالك الله من عذاب القبر فسألت عائشة رسول الله ﷺ عن عذاب القبر فقال نعم
عذاب القبر حق قالت عائشة فما رأيت رسول الله ﷺ بعد صلى صلاة الا تعود
من عذاب القبر والاحاديث في هذا الباب يوافق بعضها بعضا وتبين ما تقدم .
وقال الشوكاني في نيل الاوطار بعد ان نقل من المتتقى حديث عائشة قالت
كان رسول الله ﷺ اذا سلم لم يقعد الا مقدار ما يقول اللهم انت السلام ومنك
السلام تباركت يا ذا الجلال والاكرام اخرجه مسلم .

.. الحديث ساقه المصنف هاهنا للاستدلال به على مشروعية قيام الامام من
موضعه الذي صلى فيه بعد سلامه وقد ذهب بعض المالكية الى كراهة المقام للامام
في مكان صلاته بعد السلام ويؤيد ذلك ما اخرجه عبد الرازق من حديث انس قال
صليت وراء النبي ﷺ فكان ساعة يسلم يقوم ثم صليت وراء ابي بكر فكان اذا
سلم وثب فكأنما يقوم من رصفة . قال ويؤيده ايضا ما سيأتي في باب لبث الامام انه
كان يمكث ﷺ في مكانه يسيرا قبل ان يقوم لكي ينصرف النساء فانه يشعر بأن
الاسراع بالقيام هو الاصل والمشروع وقد عورض هذا بما تقدم من الاحاديث الدالة
على استحباب الذكر بعد الصلاة وانت خبير بأنه لا ملازمة بين مشروعية الذكر بعد
الصلاة والقعود في المكان الذي صلى المصلي تلك الصلاة فيه لان الامتثال يحصل
بفعله بعدها سواء كان ماشيا او قاعدا في محل آخر . نعم ما ورد مقيدا نحو قوله :
وهو ثان رجله وقوله : قبل ان ينصرف كان معارضا ويمكن الجمع بحمل مشروعية

الاسراع على الغالب كما يشعر به لفظ كان او على ما عدا ماورد مقيدا بذلك من الصلوات أو على أن اللبث مقدار الاتيان بالذكر المقيد لا ينافي الاسراع فإن اللبث مقدار ما ينصرف النساء ربما اتسع لأكثر من ذلك.

وقال ايضا بعد ما نقل حديث ام سلمة قال كان رسول الله ﷺ اذا سلم قام النساء حين يقضى تسليمه وهو يمكث في مكانه يسيرا قبل ان يقوم قالت فترى والله اعلم ان ذلك كان لكى ينصرف النساء قبل ان يدركهن الرجال أخرجه البخارى ومقتضى التعليل المذكور ان المأمومين اذا كانوا رجالا فقط لا يستحب هذا المكث وعليه حمل ابن قدامة حديث عائشة أنه ﷺ كان اذا سلم لا يقعد الا مقدار ما يقول اللهم انت الخ الحديث المتقدم وهذا الكلام نقله من فتح البارى .

وقال العيني : قد اختلف في هذا الباب فأكثرهم كما نقله ابن بطال عنهم على كراهية مكث الامام اذا كان اماما راتبا الا ان يكون مكثه لعله كما فعله الشارع قال وهو قول الشافعى واحمد وقال أبو حنيفة كل صلاة يتنفل بعدها يقوم وما لا يتنفل بعدها كالعصر والصبح فهو نخير وهو قول ابي مجلز لاحق بن حميد ، وقال ابو محمد من المالكية : يتنفل في الصلوات كلها بتحقيق المأموم أنه لم يبق عليه شيء من سجود السهو ولا غيره ، وحكى الشيخ قطب الدين الحلبي في شرحه هكذا عن الحسن وذكره ابن التين أيضا وذكر ابن ابي شيبة عن ابن مسعود وعائشة انه كان النبي ﷺ لم يقعد الا مقدار ما يقول الخ .

وقال ابن مسعود ايضا كان النبي ﷺ اذا قضى صلاته انتقل سريعا اما ان يقوم واما ان ينحرف وقال سعيد بن جبير شرق أو غرب ولا يستقبل القبلة وقال قتادة كان الصديق اذا سلم كان على الرضف حتى ينهض وقال ابن عمر الامام اذا سلم قام وقال مجاهد قال عمر جلوس الامام بعد السلام بدعة .

وذهب جماعة من الفقهاء الى ان الامام اذا سلم قام ومن صلى خلفه من المأمومين يجوز لهم القيام قبل قيامه الا رواية عن الحسن والزهرى ذكرها عبد الرزاق وقالوا لا ينصرفوا حتى يقوم الامام قال الزهرى انما جعل الامام ليؤتم به وجماعة الناس على خلافهما وروى ابن شاهين في كتاب المنسوخ من حديث سفيان عن سماك عن جابر كان النبي ﷺ اذا صلى الغداة لم يبرح من مجلسه حتى تطلع الشمس حسناء وفي حديث ابن جريج عن عطاء ابن عباس قال صليت مع النبي ﷺ فكان ساعة

يسلم يقوم ثم صليت الخ . وحمل الأول على صلاة لا يعقبا نافلة والثاني على مقابلته .

ووقع في البحر الرائق ولم يذكر النسفى ما يفعله بعد السلام وقد قالوا ان كان اماما وكانت صلاة يتنفل بعدها فانه يقوم ويتحول عن مكانه اما يمينا او يسرة او خلفه والجلوس مستقبلا بدعة وان كان لا يتنفل بعدها يقعد مكانه وان شاء ينحرف يمينا أو شمالا وان شاء استقبلهم بوجهه .

وفي العالمكية : واذا سلم الامام من الظهر والمغرب كره له المكث قاعدا لكنه يقوم الى التطوع ولا يتطوع في مكان الفريضة ولكن ينحرف يمينا أو يسرة أو يتأخر وان شاء رجع الى بيته يتطوع فيه وان كان مقتديا أو يصلى وحده ان ثبت في مصلاه يدعو جاز وكذا ان قام الى التطوع في مكانه أو تأخر أو انحرف يمينا أو يسرة جاز والكل سواء وفي صلاة لا تطوع بعدها كالفجر والعصر يكره المكث قاعدا في مكانه مستقبل القبلة وقال النبي ﷺ سمي هذا بدعة ثم هو بالخيار ان شاء ذهب وان شاء جلس في محرابه الى طلوع الشمس وهو افضل ويستقبل القوم بوجهه اذا لم يكن بحذائه مسبوق فان كان ينحرف يمينا أو يسرة والصيف والشتاء سواء هذا هو الصحيح كذا في الخلاصة .

وفي البدائع وان كانت صلاة بعدها سنة يكره له المكث قاعدا وكرهية القعود مروية عن الصحابة روى عن ابى بكر وعمر كانا اذا فرغا قاما كأنهما على الرضف فلا يمكث ولكنه يقوم ويتنحى عن ذلك المكان ثم يتنفل لما روى عن ابى هريرة عن النبي ﷺ قال أيعجز احدكم اذا فرغ من صلاته ان يتقدم أو يتأخر وعن ابن عمر انه كره للامام ان يتنفل في المكان الذى أم فيه ولان ذلك يؤدى الى اشتباه الامر على الداخل فينبغى ان يتنحى ازالة الاشتباه أو استكثارا من شهوده كما روى ان مكان المصلى يشهد له يوم القيامة وأما المأموم فقال بعض مشائخنا لا حرج عليهم في ترك الانتقال لانعدام الاشتباه على الداخل عند معاينة فراغ مكان الامام عنه وروى عن محمد انه قال يستحب ان لا يقوم ايضا الى ان ينقضوا الصفوف ويتفرقوا ليزول الاشتباه على الداخل المعين الكل في الصلاة البعيد عن الامام ولما رويناه من حديث ابى هريرة . انتهى كلامه ملخصاً .

وكتب ذلك :

المعتصم بجبل ربه المغيـث ، أحقر طلبة القرآن والحديث . معدن السيئات ، ومخزن الخطيئات عيـة العيـوب ، وذنوب الذنوب ، فقير رحمة ربه الكريم ، وأسير وصمة ذنبه العظيم ، أبو محمد عبد الحق بن عبد الواحد الهاشمي المحمدي غفر الله ذنوبه وستر عيوبه ، وعامله بلطفه العميم ، وفضله الواسع ، وعفا عنه وعافاه برحمته العامة الدائمة آمين .

الموازنة
بين مسندى الامامين
أحمد بن حنبل وبقى بن مخلد
رحمهما الله

بقلم
فضيلة الشيخ المحدث

أبى محمد عبد الحق الهاشمى
المدرس بالمسجد الحرام
رحمه الله

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الهادى إلى سواء السبيل والصلاة والسلام على محمد وأزواجه وأهله وصحابه أجمعين وعلى من تبعهم بإحسان إلى يوم الدين

أما بعد فقد سألتنى بعض طلبة العلم ببيان الموازنة بين مسندى الامام الجليل ناصر السنة وقامع البدعة أحمد بن حنبل الشيبانى ومسند الأمام الصالح ناشر حديث رسول الله ﷺ بالاندلس بقى بن مخلد رحمهما الله ذلك لأن بعض المحدثين فضل مسند بقى على مسند أحمد فأجيب السائل بالموازنة بين هذين المسندين العظيمين فى علم الحديث النبوى الشريف وبها يتبين الأمر ويتضح الحق فأقول : قد تقوم الموازنة بين هذين المسندين على أساس أن الامام بقى بن مخلد ألف كتابا جليلا فيها التفسير والمصنف فى فتاوى الصحابة والتابعين ومن بعدهم ، وهذا المسند وقد نقل عن الامام الحافظ ابن كثير رحمه الله انه حكى عن الامام الحافظ ابن حزم الظاهرى الاندلسى رحمه الله انه فضله على مسند الامام أحمد .

وقد قرأت هذ التصريح من ابن حزم فى رسالته التى فاخر فيها بعلماء الاندلس وفى غيرها أيضا .

وقال ابن كثير : عندى فيه نظر والظاهر ان مسند أحمد أجود منه وأجمع قلت : لا شك فى أن جودة الكتاب تعرف من أربع جهات اما من جهة فضل مصنفه ، واما من جهة حسن ترتيب الكتاب ، واما من جهة استيعاب المقاصد فيه ، واما من جهة اشتراط الصحة أو الحسن فيه ولا شك فى أن هذين المسندين العظيمين وجدت فيهما هذه المزايا كلها .

أما جودتهما من جهة فضل المصنفين فقد عرف فى ترجمتهما على وجه

الاستفاضة ما يدل على فضلها الباهر فلا حاجة الى اعادة ذكر ذلك .

وأما جودتهما من جهة الترتيب فقد ذكر ان الأمام أحمد رتب مسنده على السبقة في الفضل فذكر مسانيد العشرة المبشرة وعلى السبقة في القرابة فذكر مسانيد أهل البيت والعباس وأولاده وعلى السبقة في كثرة الرواية فذكر مسند ابن مسعود ومسند ابن عمر ومسند ابن عباس ومسند أنى هريرة ومسند أنس بن مالك ومسند أنى سعيد الخدري ومسند جابر بن عبد الله الانصاري وعلى السبقة في الاجتماع في بلد من بلاد العلم فذكر مسند المكين ومسند المدنيين ومسند الكوفيين ومسند البصريين ومسند الشاميين وعلى السبقة في نصره الدين فذكر مسند الانصار ثم مسند النساء ومسند القبائل ، فجمع مسنده على تسعة عشر مسندا لم يذكروا منها الأخير .

يقال كان الكتاب في الاصل عند المصنف على اربعة وعشرين جزءا وكان المصنف جمعه من اوراق مفردة وفرقه في أجزاء منفردة على نحو ما يكون الكتاب كالمسودة ، فلما خاف المصنف على نفسه حلال المنية قبل حصول الامنية بادر الى اسماعه أولاده وأهل بيته قبل تهذيبه وتنقيحه حتى كان بعد ذلك يأمر ابنه عبد الله يضرب بخط على بعض الأحاديث مما وجدته ضعيفا أو مخالفا لما هو أصح ، وكان أيضا يريد أن يلحق بمسنده أشياء ولكنه لم يستطع من أجل الحنة التي ابتلى بها أو غيرها من الاسباب فتوفى رحمه الله وبقي المسند كالمسودة .

ثم ان عبد الله رتبته وألحق به أشياء مما يماثله ويشاكله ثم زاد فيه القطيعي أشياء ورتبها فوق الاختلاط في المسانيد والتكرار من هذا الوجه .

ويقال ايضا انه بقي عليهم كثير من الاحاديث من الاوراق والاجزاء لم يظفروا بها فما لم يوجد فيه من الاحاديث الصحاح فهو من هذا القبيل كذا قيل والله تعالى أعلم .

أما الامام بقي بن مخلد الأندلسي فقد رتب مسنده على ترتيب آخر وهو أنه رتبته على مراتب الصحابة في الرواية فروى أولاً عن أصحاب الألف وما زاد ثم روى عن أصحاب الالفين وما زاد ثم روى عن أصحاب الالف وما زاد ثم روى عن أصحاب المئتين وشيء ، ثم روى عن أصحاب المئة وشيء ، ثم روى عن أصحاب العشرات وشيء ، ثم روى عن أصحاب العشرين ثم روى عن أصحاب التسعة عشر

ثم روى عن أصحاب الثمانية عشر ثم روى عن أصحاب السبعة عشر ثم كذلك
نقص واحداً واحداً إلى أصحاب الافراد .

ومع ذلك رتب مسند كل صحابي على أبواب الفقه ايضاً فكأن هذا المسند
مسند ومصنف محبوب والمصنف في اصطلاح المحدثين ما كان مرتباً على أبواب الفقه
والمسند ما كان مرتباً على أسماء الصحابة ، وقد فهرس الامام ابن حزم مسند بقى في
رسالة رواها عنه الحميدى وعندى منها نسخة مخطوطة تختلف مع المطبوعة في تعداد
بعض الاحاديث وكذلك يقع الخلاف احيانا بين ما في الرسالة من العدد وبين ما
يذكره الذهبي في سير النبلاء من تخريج احاديث صحابي في مسند بقى الذى روى
فيه عن ألف وثلاثمئة صاحب ونيف .

وأما جودتهما من جهة اشتراط الصحة والحسن فيهما فتكفى في ذلك شهادة
الامام ابن حزم في مسند بقى بأنه لا نظير له واما مسند الامام أحمد فقد قال شيخ
الاسلام ابن تيمية في منهاج السنة ان شرطه في المسند مثل شرط ابى داود في سننه ،
وقال في موضع آخر من المنهاج : احاديث المسند أجود من احاديث أبى داود فقليل
قوله الاول مصحف عن قوله : شرطه في المسند مثل شرط ابى داود والله تعالى أعلم ،
وشرط أبى داود في سننه انه يروى عن معروف عند الناس ولم يظهر كذبه ولا
هو متهم به .

وقال الحافظ بن حجر في التعجيل : مسند أحمد ادعى فيه بعضهم الصحة وكذا في
شيوخه ، وصنف الحافظ ابو موسى في ذلك مصنفاً قال والحق ان احاديثه غالبها
جياذ والضعاف منها انما يوردها للمتابعات وفيه القليل من الضعاف والغرائب والأفراد
أخرجها ثم صار يضرب عليها فشيئاً وبقي منها بقية .

وقال ايضاً : ليس في المسند حديث لا أصل له الا ثلاثة احاديث أو اربعة
والاعتذار عنه فيه انه أمر بالضرب عليه فترك سهواً او ضرب وكتب تحت الضرب .

وقال التيمى في زوائد المسند : مسند أحمد أصبح صحيحاً من غيره .

وقال السيوطى : في جمع الجوامع : كل ما كان في مسند أحمد فهو مقبول
فان الحديث الضعيف فيه الذى يقرب من الحسن .

وادعى ابن الجوزى ان فى المسند احاديث موضوعة وتتبعه الحافظ زين الدين العراقى وأجاب عنها الحافظ ابن حجر فى « القول المسدد فى الذب عن مسند أحمد » وحكى عن ابن تيمية انه قال : ان الذى وقع فى المسند من قبيل الموضوع انما هو من زيادات القطيعى لا من رواية الامام المؤلف ولا رواية ابنه عبد الله .

وقرأت فى منهاج السنة لابن تيمية قال : فى زيادات القطيعى أحاديث باطلة وقال السبكى فى الطبقات : مسند الامام أحمد أصل من أصول هذه الأمة . وقال الامير اليمانى : ألف الامام أحمد المسند الكبير وهو أعظم المسانيد وأحسنها وأضعا وانتقاء من أكثر من سبعة وخمسين ألف حديث . وقد صرح الشوكانى : بأن ما سكت عنه أحمد من احاديث مسنده صالح للاحتجاج .

واعترض السيوطى فى التدريب على النووى فى تمثيله بالمسند انه لا ينهض عنده لمقام الأربعة للاحتجاج قائلًا : ان أحمد شرط الصحيح فيه .

وقال الحافظ ابو موسى : هذا الكتاب أصل كبير ومرجع وثيق لاصحاب الحديث أملى المؤلف فيه أحاديث كثيرة ومسموعة وافرة فجعله اماما ومعتمدا وعند التنازع ملجأ ومستندا لعمري أن من كان قبلنا الحفاظ يتهجون بجزء واحد يقع لهم من حديث هذا الامام الكبير .

ثم ذكر حكاية عن الحاكم الى عبد الله انه قال كنت عند أئى محمد المزنى فقدم انسان من بغداد وكان أقام ببغداد على كتابة الحديث فسأله المزنى عن فائدته ببغداد فذكر من جملة ما ذكر أنه سمع مسند الامام أحمد من أئى بكر ابن مالك القطيعى فى مئة جزء وخمسين جزءاً من حديث أحمد فعجب المزنى من ذلك وقال مئة جزء وخمسون جزءاً من حديث أحمد ، كنا ونحن بالعراق اذا رأينا عند شيخ من شيوخنا جزءاً من أجزاء من حديث أحمد قضينا العجب منه فكيف فى هذا الوقت هذا المسند الجليل فعزم الحاكم على اخراج المستدرك ولم يكن عنده مسند اسحاق ولا مسند ابن شبيوة ولا مسند الى العباس السراج وكان فى قلبه ما سمعه من المزنى فعزم أن يخرج الى الحج فى الموسم من سنة سبع وستين ، وأقام بعد الحج ببغداد أشهراً وسمع جملة المسند من أئى بكر ابن مالك وعاد الى وطنه ومد يده لأخراج المستدرك على تراجم المسند .

وقال الامام ابن تيمية رحمه الله في منهاج السنة : ليس كل ما رواه الامام أحمد في المسند وغيره يكون حجة عنده بل يروى ما رواه أهل العلم ، وشرطه في المسند أن لا يروى عن معروفين بالكذب عنده ، وإن كان في ذلك ما هو ضعيف ، وشرطه في المسند مثل شرط ابى داوود في سننه .

وأما كتب الفضائل فيروى ما سمعه من شيوخه سواء كان صحيحاً أو ضعيفاً فإنه لم يعقد ان لا يروى في ذلك إلا ما ثبت عنده ، ثم زاد ابنه زيادات وزاد ابو بكر القطيعي زيادات ، وفي زيادات القطيعي أحاديث كثيرة موضوعة .

قال شيخ الاسلام : كل من عرف العلم يعلم ان ليس كل حديث رواه في مسنده يقول انه صحيح ، بل أحاديث مسنده هي التي رواها الناس عن من هو معروف عند الناس بالنقل ولم يظهر كذبه وقد يكون في بعضها علة تدل على انه ضعيف بل باطل لكن غالبها وجمهور أحاديثها جيدة يحتج بها وهي أجود من أحاديث ابى داوود .

وقال ايضا في اقتضاء الصراط المستقيم : كان أحمد على ما يدل عليه طريقته في المسند اذا رأى ان الحديث موضوع أو قريب من الموضوع لم يحدث به في المسند ولذلك ضرب على احاديث رجال فلم يحدث بها في المسند لان النبي ﷺ قال : من حدث عنى بحديث وهو يرى انه كذب فهو أحد الكاذبين .

وقال ابن القيم في الفروسية أما ما شاع في الناس ان كل ما رواه الامام أحمد في المسند فهو صحيح عنده فهذه المقدمة لا مستند لها البتة بل أهل الحديث كلهم على خلافها ، والامام أحمد لم يشترط في مسنده الصحيح ولا التزمه وفي مسنده عدة أحاديث سئل هو عنها فضعفها بعينها وأنكرها ، ثم ذكر أحاديث مما ضعفه الامام أحمد — ثم قال : وهذا باب واسع لو تتبعنا لجاء كتاباً كبيراً .

والمقصود انه ليس كل ما رواه الامام وسكت عنه يكون صحيحاً عنده حتى لو كان صحيحاً عنده وخالفه غيره في تصحيحه لم يكن قوله حجة على نظيره .

وهذا يعرف وهم الحفاظ ابى موسى المديني في قوله : ان ما أخرجه الامام في مسنده فهو صحيح عنده ، فان أحمد لم يقل ذلك قط ولا قال ما يدل عليه بل قال

ما يدل على خلاف ذلك ، كما يروى ان عبد الله بن أحمد قال لابيه : ما تقول في حديث ربّعى عن حذيفة ؟ قال : الذى يرويه عبد العزيز بن أئى داوود ؟ قلت : يصحّ قال : لا ، الاحاديث بخلافه ، وقد رواه الحفاظ عن ربّعى عن رجل لم يسم قال : فقلت له : لقد ذكرته فى المسند فقال : قصدت فى المسند الحديث المشهور ، وتركت الناس تحت الستر لله ولو أردت ما صح عندى لم أرو من هذا المسند ألاّ الشئ بعد الشئ ، ولكنك يابنى تعرف طريقتى فى الحديث لست أخالف ما فيه ضعيف اذا لم يكن فى لباب ما يدفعه .

وهذا تصريح من الامام بأنه أخرج فيه الصحيح وغيو .

وقد استشكل ابو موسى المدينى هذه الحكاية وظنها كلاما متناقضا فقال : ما أظن هذا يصحّ لانه كلام متناقض ، لانه يقول : لست أخالف ما فيه ضعف اذا لم يكن فى الباب شئ يدفعه ، وهو يقول فى هذا الحديث : والاحاديث بخلافه ، قال : وان صحّ فلعله كان أولا ثم أخرج فيه ما ضعف لاني طلبته فى المسند فلم أجده .

قال ابن القيم : ليس هذا متناقضا من أحمد بل هذا أصله الذى بنى عليه مذهبه ، واذا لم يكن فى المسألة حديث صحيح وكان فيها حديث ضعيف وليس فى الباب شئ يرده عمل به ، فكان إذا عارضه ما هو أقوى منه تركه للمعارض القوى ، واذا كان فى المسألة حديث ضعيف وقياس قدم الحديث الضعيف على القياس .

وليس الحديث الضعيف فى اصطلاح الامام أحمد هو الضعيف فى اصطلاح المحدثين المتأخرين ، بل هو والمتقدمون يقسمون الحديث الى صحيح وضعيف والحسن عندهم داخل فى الضعيف بحسب مراتبه .

واول من عرف عنه انه قسم الحديث الى ثلاثة اقسام ابو عيسى الترمذى ثم الناس تبع له بعد ، فأحمد يقدم الحديث الضعيف الذى هو حسن عنده على القياس ، ولا يلتفت الى الضعيف الواهى الذى لا تقوم به حجة بل ينكر على من احتج به وذهب اليه .

فان لم يكن عنده في المسند حديث أخذ فيها بأقوال الصحاب ولم يخالفهم وان اختلفوا رجح من اقوالهم ولم يخرج منها ، واذا اختلف الصحابة في المسألة فعلى الغالب يختلف جوابه فيها ، ويخرج عنه فيها روايتان واكثر .

وأما جودة المسندين من جهة استيعاب المقاصد فقد قيل ان جملة من روى عنهم الامام بقى بن مخلد من المشايخ في مسنده مئتان وأربعة وثمانون شيخا وجملة من روى احاديثهم من الصحابة في المسند ألف وسبعة عشر نفراً ما بين رجال ونساء .

وأما مسند الامام احمد فقد قيل : انه روى في مسنده عن مئتين وثلاثة وثمانين شيخا ، وأما الصحابة الذين روى الامام أحمد أحاديثهم في مسنده فقليل أنهم نحو ألف نفر من بين رجل وامرأة ، وقيل : هم سبعة رجل ومئة ونيف امرأة ، وقيل هم ستمئة ونيف وتسعون رجلا ، وست وتسعون امرأة .

وقال الذهبي في موضع من السير : روى بقى في مسنده عن ألف وستمئة صاحب بل يزيدون على هذا العدد وشيوخه مئتا رجل وأربعة وثلاثون ، وهذا خلاف ما سبق ذكره .

وقيل : يشتمل المسند على نحو ثمانمئة سوى ما فيه ممن لم يسم وأما الإبناء فيه فثمانية ، وقال بعضهم : احصيت من في المسند من الصحابة فوجدت الرجال ستمئة ، وعشرين رجلا ممن سماهم المصنف ، ووجدت من لم يسم فيه نحو من مئتين وستين رجلا ، ووجدت من النساء ممن سماهن ثمانيا وتسعين امرأة ، ووجدت من لم يسم منهن اثنتين وثلاثين امرأة ، فصار المجموع تسعمئة وعشرة انفار .

وتعداد المشايخ الذين روى عنهم الامام أحمد ٢٨٣ والذين روى عنهم ابنه ١٧٣ وقيل في المسند ثلاثون ألف حديث ٣٠٠٠٠ زاد فيها عبد الله ١٠٠٠٠ وقيل ٤٠٠٠٠ مع التكرار له إلا شيئا وقيل : مسند بنى هاشم ٧٥ حديثا ومسند أهل البيت ٤٥ ومسند عائشة ١٣٤٠ ومسند النساء ٩٣٦ ومسند ابن مسعود ٨٧٥ ومسند أنس ٢٨٨٠ وقيل : مسند ابن مسعود ٩٠٠٠ وأنس ٢١٩٢ قال الذهبي : عدّه بالمكرر لا ينضب . وفيه من الثلاثيات ما يزيد على ثلاثمئة حديث .

قلت : ووجدت من رجال الصحابة ونسائهم من روى عنهم الامام أحمد في

مسنده ولم يرو عنهم الامام بقى بن مخلد فى مسنده ، وكذنت وجدت من الرجال والنساء من روى عنهم الامام بقى فى مسنده ولم يرو عنهم الامام احمد .

وإيضاً سترى فرقا كبيرا فى عدد أحاديث أكثر الصحابة المذكورين فى هذين المسندين ، فقد ذكر ابن الجوزى فى مسند ابى هريرة ان له فى المسند الاندلسى خمسة آلاف وثلاثمائة وأربعة وسبعين حديثاً ، ووقع فى المسند الحنبلى من حديثه ثلاثة آلاف وثمانمائة وأربعون حديثاً .

وروى عن بقى انه قال : كان للنبي ﷺ مئة ألف وأربعة وعشرون ألفاً من الصحابة عند وفاته ، ولكن تسعمئة وثمانية وتسعين صحابياً روى الحديث عنه ، وجملة ما روى أحد وثلاثون ألف حديث وعشرون حديثاً .

قلت : جملة من روى عنهم بقى فى مسنده ألف وسبعة عشر نفرأ ما بين رجال ونساء ، وجميع من روى عنهم الامام أحمد نحو ألف نفر ما بين رجل وامرأة .

وذكر ابن الجوزى : ان جميع ما رواه بقى فى مسنده احد وثلاثون الف حديث وأربعة وستون حديثاً ، وذكر فى مسند أنس ان له فى المسند الاندلسى الفين ومئتين وستة وثمانين حديثاً ، وان له فى مسند أحمد ألفين ومئة وثمانية وستين حديثاً .

وذكر فى مسند ابن عباس ان له فى مسند بقى ألفاً وستمئة وستين حديثاً ، وان له فى مسند أحمد ألفاً وستمئة وستة وتسعين حديثاً ، وذكر فى مسند ابن عمر ان له فى المسند الاندلسى الفين وستمئة وثلاثين حديثاً ، وان له فى مسند أحمد الفين وتسعة عشر حديثاً ، وذكر فى مسند جابر ان له فى مسند بقى ألفاً وخمسمئة وأربعين حديثاً ، وان له فى مسند أحمد ألفاً ومئتين وستة احاديث .

وذكر فى مسند أبى سعيد الخدرى ان له فى مسند بقى ألفاً ومئة وسبعين حديثاً ، وان له فى مسند أحمد تسعمئة وثمانية وخمسين حديثاً ، وذكر فى مسند ابن مسعود ان له فى مسند بقى ثمانمئة وثمانية وأربعين حديثاً ، وان له فى مسند أحمد ثمانمئة واثنين وتسعين حديثاً ، وذكر فى مسند عبد الله ابن عمرو بن العاص ان له فى مسند بقى سبعمئة حديث ، وان له فى مسند أحمد سبعمئة واثنين وعشرين حديثاً .

وقد أحصى الامام ابن حزم جميع ما روى فى مسند بقى من الاحاديث وما لكل لصحابى منها فى رسالة رواها عنه الحميدى وهى مطبوعة مع جملة رسائله

وعندى منها نسخة خطية تختلف عنها بعض الاختلاف فى العدد .

وتجد الامام الذهبى يشير فى أواخر بعض التراجم فى كتابه سير النبلاء إلى مالكل صحابى فى مسند بقى بن مخلد من الاحاديث ، فاذا راجعت مسند أحمد وجدت بعض الاختلاف فى العدد وربما لم يخرج الامام أحمد ما أخرجه بقى بن مخلد .

ولعل هذ الاختلاف من جهة كثرة التكرار فى المسند الاندلسى وأما مسند أحمد فانه وان كان لا يخلو من التكرار ايضا لكن تكراره قليل بالنسبة الى تكرار المسند الاندلسى ، وانما احتاج بقى الى كثرة هذا التكرار لانه رتب مسنده مع ترتيبه على مسانيد الصحابة على ترتيب أبواب الفقه فاحتاج الى تكرار الحديث بالطرق الكثيرة لاجل استنباط المسائل ، كما احتاج الامام البخارى الى تكرار الحديث فى الابواب والكتب المتفرقة من صحيحه لاجل الاستنباط .

وبعيد احتمال الظن بالامام أحمد انه فاته هذا العدد الضخم من الاحاديث ، ولا شك ان الامام أحمد فاته احاديث كثيرة العدد كما فاته ذكر بعض الصحابة المذكورين فى مسند بقى ، لكن ذلك ليس بالكثرة الكاثرة التى تصل الى الفرق بين المسندين العظيمين الجليلين بمثل هذ الفرق الكبير ذلك لان الامام بقى بن مخلد يروى الحديث الواحد مقطعا اجزاء باعتبار الابواب والمعانى كما يفعل الامام البخارى فى صحيحه فيكرر الحديث الواحد فى ابواب مسنده بخلاف الامام أحمد ، ويؤيده ما تقدم من النقل عن الامام ابن حزم انه وصف بقيا بأنه رتب أحاديث كل صحابى على أبواب الفقه .

ولا شك فى ان مسند الامام بقى من أهم مصادر السنة المطهرة ومن أكبر مراجع الحكمة البالغة ، الا نأسف على فقدان هذا المسند الجليل المبارك وكذلك مسند الامام احمد بن حنبل فهو مصنف عظيم فى الحديث يساوى مسند بقى فى الكبر وفى جمع الاحاديث ولا يوجد الآن فى الدنيا كتاب مسند يماثله فى الكبر والكثرة والاستيعاب ، وهو من الكتب المتداولة بايدى أهل العلم يتدارسونه ويستفيدون منه ، ومصنفه أورد فيه من الاحاديث ما يحتج به أو يعتبر به وجعله اماما للناس اذا اختلفوا فى حديث من أحاديث النبى ﷺ رجعوا اليه ، فقد قال لابنه ياعبد الله احتفظ بهذا المسند فانه سيكون للناس اماماً ، وروى عنه انه قال : هذا الكتاب جمعه وانتقيته من أكثر من سبعمئة ألف حديث وخمسين ألف حديث ،

فما اختلف المسلمون فيه من حديث رسول الله ﷺ فارجعوا اليه فان كان فيه وآلا فليس بحجة .

وقال ايضا عملت هذا الكتاب اذا اختلف الناس في سنة رسول الله رجعوا اليه قال الامام الذهبي : هذا القول من هذا الامام محمول على الغالب والا فلنا أحاديث صحيحة في الصحيحين والسنن وغيرها ما هي في المسند .

وقيل : أراد الامام بهذا القول الطرق لا المتون ، وقيل ما لم يوجد فيه من الاحاديث الصحيحة فهي من قبيل ماقاتهم من أوراق المصنف التي لم يظفروا بها في المسند لكن هذا بعيد عندي جدا والله تعالى أعلم . .

وبعد هذه الموازنة بين المسندين العظميين في حسن الترتيب واستيعاب المقاصد واشتراط الصحة أو الحسن والموافقة في ايراد روايات المشائخ الاجلة وأحاديث الصحابة والاتفاق في اكثر عدد أحاديث كل صحابي ، وصلت الى هذه النتيجة :

وهي ان هذين المسندين المباركين قرينان متقاربان في الاستيعاب والصحة والحسن والترتيب وانهما لا نظير لهما في مصادر السنة المطهرة وانه لابد لمن يريد طلب الحديث من الحصول عليهما واقتنائهما وانه لا ينبغي لبيت من بيوت المحدثين ان يكون خاليا من هذين المسندين المباركين بل ينبغي ان يكون منورا بنورهما .

وما ظنك يا هذا بمسندين احدهما مصنفه استاذ كامل وهو امام المسلمين وشيخ الفقهاء في المشرق كأنه جمع الله له علم الاولين والآخرين فتور هذا الامام للناس في المشرق نوراً حتى أبصروا فيه تراث علم الحديث .

وثانيهما مصنفه تلميذ له وهو امام المسلمين وشيخ الفقهاء والمحدثين في المغرب جاء فاستفاد من استاذه في المشرق واقتبس من نور علمه فأخذ بيده مشعلا من علم الحديث فنور به للناس في المغرب وترك لاهله تراث الحديث فواها لهذا المشرق وواهاً لذلك المغربى ، وياحبذا المشرق وياحبذا المغربى .

وتالله لو أنصفت لحكمت ان جل ما فرقه الامام بقى بن مخلد في مسنده هو مستفاد من الامام أحمد ومن معه كالامام يحيى بن معين والامام أبى بكر ابن أبى شيبة وغيرهم من محدثي العراق .

وقد ورد في ترجمته انه كان يأتي باب الامام أحمد في هيئة سائل بيده عصا ويلف على رأسه خرقة ويأخذ في كمّه دواة وورقة يصيح على باب الامام احمد على دأب السائلين آنذاك ببغداد (الاجر رحمكم الله) فكان الامام احمد اذا سمع صوته يخرج من بيته فيحدثه بأحاديث ، وانما كان يفعل كذلك لان الامام احمد كان حينذاك ممنوعا من التحدث لا يأتيه الطلبة للسمع منه فاحتال الامام بقى بن مخلد بهذه الحيلة ليلغ مقصوده من السماع من الامام احمد دون أن يشعر بذلك أحد اذ لو رآه أحد لظنه سائلا يغنى صدقة .

فلما زال المنع عن الامام أحمد فظهر للناس وجلس في الحلقة للتحديث أجلس بقى بن مخلد بجانبه وأظهره للناس فكان يقول لاصحاب الحديث : هذا يقع عليه اسم طالب علم وكان يذكر لهم قصته وما فعل مدة المنع من التحديث لاجل السماع من الامام رحمهما الله .

هذا وقد ألف المحدثون مسانيد ما بين كبير وصغير ، ولكن مسند الامام بقى ومسند الامام أحمد من أكبر المسانيد وأحسنها وضعاً .

أما أكبر المسانيد في الدنيا فمسندان الاول مسند الامام الحافظ الكبير الفقيه الى يوسف يعقوب السدوسي البصري تلميذ الامام أحمد وعلى بن المديني ويحيى بن معين ، لكنه لم يكمله رحمه الله بل ظهر منه بعض المسانيد كمسانيد العشرة المبشرة ومسند العباس ومسند ابن مسعود ومسند عتبة بن غزوان ومسند عمار وبعض اجزاء من مسند ابن عمر .

قال الذهبي : بلغني أن مسند على منه في خمس مجلدات وظهرت منه نسخة من مسند الى هريرة فكانت في مئتي جزء .

وقيل : لو تم هذا المسند لكان في مئتي مجلد ، وكان المصنف أعد في منزله اربعين لحافا لمن كان يبيت عنده من الوراقين الذين يبيضون له المسند وقد لزمه على ما خرج منه عشرة آلاف دينار .

والثاني مسند الامام أنى على الحسن بن محمد الماسرجسي النيسابوري فقد يقال ان مسنده كان في الف وثلاثمئة جزء وقد ألف هذان الامامان مسنديهما على بيان العلل بان تجمع في كل متن طرقه واختلاف الرواة فيه بحيث يتضح ارسال ما يكون

متصلاً أو وقف ما يكون مرفوعاً أو غير ذلك من العلل .

ولانى يعلى الموصلى احمد بن على التميمى مسند كبير ، فقد قال اسماعيل بن محمد بن الفضل : قرأت المسانيد كمسند العدنى ومسند احمد بن منيع وهى كالانهار ومسند اى يعلى كالبحر يكون مجتمع الانهار .

هذا ورحم الله الجميع من سلف المحدثين فانهم سعوا فى الدين وأغنونا عن كثير من العناء جزاهم الله تعالى عن الاسلام والمسلمين خيراً ، وأسكنهم الفردوس الاعلى من فسيح جناته والحقنا بهم آمين . . .

أما بعد ان فرغنا من الموازنة بين مسندى الامامين العظيمين الجليلين أحمد بن حنبل الشيبانى وبقي بن مخلد الاندلسى رحمهما الله فقد احببنا ان نذيلها بترجمة هذا الحافظ صاحب المسند والمصنف والتفسير تعريفاً لطلبة الحديث بجلالة قدر هذا الامام ، فان ذكره خامل فى هذا العصر المتأخر مع عظمته وعلو كعبه واجتهاده فى الحديث ولو لم يكن له الا انه بث علم السنة فى بلاد الاندلس والغرب وملاها مصنفات فى الحديث حملها اليها من الشرق لكفاه نبلا وفخراً وفضلاً وعزاً ، فليقف الطلبة على تاريخ هذا العالم وقد جمعت هذه الترجمة من المراجع الشهيرة والكتب الكثيرة للائمة الاعلام والحفاظ الكرام فأقول :

هو الامام بقى بن مخلد الاندلسى ابو عبد الرحمن أحد الائمة الحفاظ الاعلام رحمه الله ، ومن ذكر ترجمته حافظ عصره وفريد دهره ابو القاسم على بن الحسن بن هبة الله بن عساكر الدمشقى الشافعى رحمه الله فى تاريخه الكبير فقال : بقى بن مخلد بن يزيد ابو عبد الرحمن الاندلسى الحافظ أحد علماء الاندلس ذو رحلة واسعة ، سمع الحديث بدمشق من هشام بن عمار وعبد الله بن ذكوان ودحيم وغيرهم ، وسمع بغيرها من الامام أحمد وأبى بكر ابن اى شيبه وأبى ثور وجماعة سواهم وصنف المسند والتفسير وغيرهما .

وكان ورعاً فاضلاً زاهداً مجاب الدعوة ، قيل : عدد شيوخه يبلغ المئتين والثمانين رجلاً ، وحدث عنه جماعة من أهل المشرق ومن أهل الاندلس .

قال الحافظ : ولم يقع الى حديث مسند من حديثه ، ولكن رويت بالسند الى عبد الرحمن بن الامام أحمد انه قال : سمعت اى يقول : جاءت امرأة الى بقى بن

مخلد فقالت له : ان ابني قد أسره الروم وليس عندي مال إلا دويرة لا أقدر على بيعها ، فلو اشترت الى من يفديه بشيء فانه ليس لي ليل ولا نهار ولا نوم ولا قرار . فقال لها : انصرفي حتى أنظر في أمره ان شاء الله تعالى ، فأطرق الشيخ وحرك شفثيه ؟ قال : فلبثنا مدة فجاءت المرأة ومعها ابنها فأخذت تدعو له وتقول : قد رجع سالما ، وله حديث يحدثك به .

فقال له الشاب : أخذني بعض ملوك الروم أنا وجماعة من الاسارى وكان له انسان يستخدمنا كل يوم ، فيخرجنا الى الصحراء للخدمة ، ثم يردنا وعلينا قيودنا فنحن في العمل بعد المغرب مع صاحبه الذي كان يحفظنا ، ثم اننى يوما من الايام وجدت القيد قد انفتح من رجلى ووقع على الارض ، وذكر اليوم والساعة فوافق الوقت الذى جاءت المرأة الى الشيخ ودعا لها — قال : فهض الى الذى كان يحفظنى فصاح على وقال : كسرت القيد ؟ فقلت لا انه سقط من رجلى فتحيروا من أمرى فدعوا رهبانهم فقالوا لى : ألك والدة ؟ قلت : نعم فقالوا : قد وافق دعاؤها الاجابة ثم قالوا : نحن نطلقك فلا يمكننا تقييدك قال : فردونى واصحبونى الى ناحية المسلمين . روى هذه الحكاية الحميدى فى تاريخ الاندلس بالاجازة عن القشيري ورواها الخطيب البغدادي .

وروى الحميدى فى تاريخه المذكور أن محمد بن عبد الرحمن بن الحكم أمير الاندلس كان محبا للعلوم مؤثرا لاهل الحديث عارفا حسن السيرة ، فلما دخل بقى بن مخلد الاندلسى بكتاب مصنف بن ابى شيبة ، وقرئ عليه أنكر جماعة من أهل الرأى ما فيه من الخلاف واستشنعوه وسلطوا العامة عليه ومنعوه من قراءته فاتصل الخبر بالامير محمد بن عبد الرحمن فاستحضره واياهم واستحضر الكتاب كله ، وجعل يتصفحه جزءا جزءا حتى أتى على آخره ثم ان القوم ظنوا انه يوافقهم فى الانكار وجعلوا ينتظرون ما يقول فما هو إلا ان قال لخازن كتبه هذا الكتاب لا تستغنى خزانتنا عنه فانظر فى نسخة لنا منه .

ثم قال لبقى : انشر علمك وارو ما عندك من الحديث واجلس للناس يتتفعوا بك ، ثم نهى القوم ان يتعرضوا له .

الا رحم الله الامراء العلماء المنصفين حيث ساعدوا على بث علم الحديث .
قال ابن مندة : كانت لبقى رحلة وطلب للحديث مشهور توفي بالاندلس
سنة ست وسبعين ومئتين .

وقال الدارقطني : سنة ثلاث وسبعين ومئتين .

وقال ابن ما كولا : كتب المصنفات الكبار وادخلها الاندلس ونشر بها علم
الحديث وكان حافظا اماما فيه له رحلة في طلبه .

وقال الحميدى في تاريخه : هو من الحفاظ المحدثين ، وأئمة الدين
والزهاد المصلحين ، رحل الى المشرق فروى عن الائمة وعلماء السنة كالامام أحمد بن
حنبل وابن أبى شيبه وخليفة بن خياط وجماعات يزيدون عن المئتين ، وكتب
المصنفات الكبار والمنثور الكثير وبالغ في الجمع والرواية ورجع الى الاندلس فملأها
علما جما وألف كتبنا حسانا تدل على احتفاله واستكثاره .

قال لنا ابو محمد : ومن مصنفاته كتابه في تفسير القرآن وهو الكتاب الذى
لم يؤلف في التفسير مثله في الاسلام لا تفسير محمد بن جرير الطبرى ولا غيره ،
ومنها مصنفه الكبير في الحديث الذى رتب على اسماء الصحابة روى فيه عن ألف
وثلاثمئة ونيف ، ثم رتب حديث كل صاحب على أسماء الفقه وابواب الاحكام فكان
مصنفا ومسنداً .

أقول : المصنف في اصطلاح المحدثين ما كان مرتبا على ابواب الفقه والمسنند ما
كان مرتبا على اسماء الصحابة .

قال ابن حزم : وما أعلم لاحد هذه الرتبة قبله مع ضبطه واتقانه واحتفاله في
الحديث وجودة شيوخه فانه روى عن مئتي رجل وأربعة وثمانين رجلا ليس فيهم عشرة
ضعفاء وسائرهم اعلام مشاهير .

ومن كتبه مصنفه في فتاوى الصحابة والتابعين ومن دونهم حتى أرى فيه على
مصنف ابن أبى شيبه ومصنف عبد الرزاق بن همام ومصنف سعيد بن منصور
وغيرهم وانتظم علما عظيما لم يقع في شيء من هذه الكتب فصارت تواليف هذا
الهمام الفاضل قواعد في الاسلام ولا نظير لها .

وكان مجتهدا لا يقلد احدا وكان ذا خاصة من الامام أحمد بن حنبل وجاريا في

مضممار الى عبد الله محمد بن اسماعيل البخارى وإلى الحسين مسلم بن الحجاج
القشيري وإلى عبد الرحمن النسائي رحمة الله عليهم .

ومن جملة من روى عنه عبد الله بن يونس المرادى وكان مختصا به كثيرا عنه
ومنه انتشرت كتبه الكبار ، ولعله كان آخر من حدث عنه من أصحابه .

وذكر المترجم عنه يوما لابي بكر بن ابي خيثمة فقال : كنا نسميه المكنسة
وهل يحتاج أهل بلد فيه بقى بن مخلد ان يأتي الى هنا منهم أحد ويعنى بالمكنسة صفة
الامتداح أى انه كان يكنس العلم كنسا فيحويه كله لا يبقى منه شيئا كما لا تبقى
المكنسة عند التنظيف شيئا .

قال ابن يونس في تاريخ الاندلس : مات بقى سنة ست وسبعين ومئتين
بالاندلس ، وقال الدارقطني : كانت وفاته سنة ثلاث وسبعين ومئتين والاول اصح
لان الامير عبد الله بن محمد أحد أمراء الاندلس جمع الفقهاء وفيهم بقى ليأخذ رأيهم
في قتل زنديق ظهر ببلاده ، وكانت ولاية عبد الله هذا سنة خمس وسبعين بلا خلاف
وعليه فيكون بقى حيا في هذه المدة وهكذا قال الامام ابو محمد على بن حزم في كتابه
الذي جمعه في ذكر أوقات الامراء وایامهم بالاندلس .

وذكر القاضي ابو الوليد عبد الله بن محمد بن يوسف بن الفرضي الاندلسي
في تاريخه : تحديد وفاته فقال : حدثنا عبد الله بن يونس ان بقيا ولد في شهر رمضان
سنة احدى ومئتين ومات ليلة الثلاثاء لليلتين بقيتا من جمادى الآخرة سنة ست
وسبعين ومئتين والله تعالى اعلم .

وذكره الامام ابو نصر على بن هبة الله المعروف بالامير ابن ما كولا في كتابه
الاكمال فقال أما بقى بفتح الباء وكسر القاف فهو بقى بن مخلد الاندلسي ابو
عبد الرحمن الحافظ امام في الحديث له رحلة في طلب العلم سمع ابا عبد الله أحمد
بن حنبل و ابا بكر ابن ابي شعبة وأحمد بن ابراهيم الدورق وخلقا كثيرا يزيدون على
مئتي رجل وكتب المصنفات الكبار وأدخلها الاندلس ونشر علم الحديث بها وروى
عنه جماعة منهم اسلم بن عبد العزيز بن هاشم القاضي وأحمد بن خالد بن يزيد
ومحمد بن قاسم بن محمد والحسن بن سعد ادريس الفهري وعلى بن عبد القادر وعبد
الله بن يونس المرادى ، ولعله آخر من حدث عنه توفي سنة ست وسبعين ومئتين .

وبالسند أخبرنا أبو محمد الحافظ قال حدثنا عبد الرحمن الكتاني قال أخبرنا أحمد بن خليل حدثنا خالد بن سعد قال قال لي أسلم بن عبد العزيز بن هاشم القاضي وأحمد بن خالد ومحمد بن قاسم بن محمد رأينا بقي بن مخلد ومحمد بن عبد السلام الحشني وقاسم بن محمد يرفعون أيديهم في الصلاة عند كل خفض ورفع ، وقال لي أسلم رأيت المزني والربيع بن سليمان يرفعان أيديهما عند كل خفض ورفع في الصلاة .

قلت : ولنا تحقيق في هذا المسألة رجحنا فيه حديث مالك بن الحويرث وهو الصواب عندنا إن شاء الله .

وقال الامام الحافظ شمس الدين الذهبي في تذكرة الحفاظ : بقي بن مخلد الامام شيخ الاسلام أبو عبد الرحمن القرطبي صاحب المسند الكبير والتفسير الجليل الذي قال فيه ابن حزم ما صنف تفسير مثله اصلا مولده في رمضان سنة احدى ومئتين وسمع يحيى بن يحيى الليثي القرطبي وابا مصعب الزهري ويحيى بن بكير وابراهيم بن المنذر الحزامي وزهير بن عباد وصفوان بن صالح ويحيى بن عبد الحميد الحماني وابن نصير وابن ابي شيبة وطوف في الشرق والغرب وشيوخه مئتان وثمانون ونيف روى عنه ابنه أحمد وأحمد بن عبد الله الاموي وأسلم بن عبد العزيز ومحمد بن عمر بن لبانة والحسن بن سعيد وعبد الله بن يونس القيسري وآخرون وكان اماما علما قدوة مجتهدا لا يقلد احدا ثقة حجة صالحا عابدا مجتهدا أواما عديم النظر في زمانه جمع إلى العلم الصلاح والتقوى ذكره أحمد بن أبي خيثمة فقال ما كنا نسميه الا المكنسة وهل يحتاج بلد فيه بقي بن مخلد أن يأتي منه إلينا أحد .

وقال : أبو الوليد الفرضي ملأ بقي الاندلس حديثا .

وقال : أبو عبد الملك القرطبي في تاريخه كان بقي طويلا أقنى ذا لحية مصبرا وكان متواضعا ملازما لحضور الجنائز وكان يقول اني لأعرف رجلا كانت تمضي عليه الايام في وقت طلبه ليس له عيش الاورق الكرب .

وعن بقي قال لما رجعت من العراق أجلسني يحيى بن بكير إلى جنبه وسمع مني سبعة أحاديث وقد تعصبوا على بقي لاطهار مذهب أهل الاثر فدفعهم عنه أمير الاندلس محمد بن عبد الرحمن المرواني واستنسخ كتبه وقال لبقني انشر علمك ، وعن

بقى قال لقد غرست للمسلمين غرسا بالاندلس لا يقلع الا بخروج الدجال .
وعن بقى قال كل من رحلت إليه فماشيا على قدمي ، وذكر عن بقى خير
ونسك وإيثار حتى بثوبه وكان مجاب الدعوة وقيل أنه كان يختم القرآن كل ليلة في
ثلاث عشرة ركعة ويسرد الصوم وحضر سبعين غزوة .
أخبرنا محمد بن عطاء الله بالثغر قال أخبرنا عبد الرحمن بن مكى سنة ست
وأربعين وستمئة عن خلف بن عبد الملك الحافظ قال أخبرنا أبو محمد بن عتاب قال
أخبرنا أبو عمر التمرى قال أخبرنا محمد بن عبد الملك قال أخبرنا عبد الله بن يونس
قال أخبرنا بقى بن مخلد قال أخبرنا هانى بن المتوكل عن معاوية بن صالح عن رجل
عن مجاهد عن علي بن أبي طالب أنه قال لو أنى أُنسى ذكر الله ما تقربت إلى الله
إلا بالصلاة على النبي ﷺ يقول قال جبريل يا محمد أن الله تعالى يقول من صلى
عليك عشر مرات استوجب الأمان من سخطي .

قبائح اليهود

بقلم

فضيلة الشيخ المحدث
أبي محمد عبد الحق الهاشمي
المدرس بالمسجد الحرام
رحمه الله

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله وكفى والصلاة والسلام على نبيه المصطفى وأزواجه وذريته وصحابته
ومن اتبع الهدى .

أما بعد فنذكر في هذه الرسالة خصال اليهود التي أوجبت عليهم سخط الله
ورسوله والمؤمنين ، فنقول أن الله سبحانه وتعالى قضى على اليهود بتسعة أشياء ذكرها
في القرآن الكريم .

أولها : الذلة . وثانيها : المسكنة . وثالثها : المسخ . ورابعها : اللعنة .
 وخامسها : الغضب . وسادسها : الاصر . وسابعها : الاغلال . وثامنها . أنه
لا تقوم لهم دولة بل يكونون تحت حكومة الاسلام . وتاسعها : البغضاء بينهم .

كما قال تعالى : (وضربت عليهم الذلة والمسكنة وبأوا بغضب من الله ذلك
بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير الحق ذلك بما عصوا وكانوا
يعتدون) .

وفي هذا الموضع ذكر عز وجل اربعة أسباب لكونهم استوجبوا السخط عليهم
وهي كفرهم بآيات الله وقتلهم الانبياء وعصيانهم ثم اعتداؤهم لذلك استحقوا الذلة
والمسكنة والغضب من الله وهذه ثلاثة أشياء من التسعة المذكورة التي قضى الله بها
على اليهود .

وقال تعالى : (هل أنبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب
عليه وجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت أولئك شر مكانا وأضل عن سواء
السبيل) .

وفي هذه الآية ذكر الله لعنة اليهود وجعله منهم القردة والخنازير بالمشخ وهذا
شيئان من التسعة المذكورة التي قضى الله بها على اليهود بسبب عصيانهم وعبادتهم
الطاغوت .

وإلى هذا المشخ أشار القرآن في موضع آخر فقال : « فلما عتوا عما نهوا عنه
قلنا لهم كونوا قردة خاسئين . » وقال في موضع آخر : « ولقد علمتم الذين اعتدوا
منكم في السبت فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين فجعلناها نكالا لما بين يديها
وما خلفها وموعظة للمتقين » وكان سبب ذلك هو العدوان والعصيان وقد ذكر الله
لعنة اليهود وغضبه عليهم بسبب كفرهم وبغيهم فقال : « ولما جاءهم كتاب من عند
الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا
كفروا به فلعنة الله على الكافرين . بثسما اشتروا به أنفسهم ان يكفروا بما أنزل الله
بغياً ان ينزل الله من فضله على من يشاء من عباده فباءوا بغضب على غضب
وللكافرين عذاب مهين » .

أما الاصر والاعلال التي قضى الله بها عليهم فأشار اليها القرآن في قوله :
« ربنا ولا تجعل علينا اصراً كما جعلته على الذين من قبلنا » وهم اليهود

وقال تعالى : « واختار موسى قومه سبعين رجلاً لميقاتنا فلما أخذتهم الرجفة
قال رب لو شئت أهلكتهم من قبل واياي أتهلكنا بما فعل السفهاء منا إن هي
الا فتنتك تضل بها من تشاء وتهدي من تشاء أنت ولينا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير
الغافرين ، واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة وفي الآخرة إنا هدنا إليك قال عذابي
أصيب به من أشاء ورحمتي وسعت كل شئ فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة
والذين هم بآياتنا يؤمنون ، الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوباً
عندهم في التوراة والانجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات
ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والاعلال التي كانت عليهم فالذين آمنوا به
وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون » وأما العداوة التي
ألقيت بينهم فقال الله تعالى : (وألقينا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة) .

فهذه ثمانية اشياء ، الذلة والمسكنة واللعنة والغضب والعداوة والاصر
والاعلال ذكرت في هذه الآيات من القرآن الكريم .

أما أنه لا تقوم لهم مملكة وهي الظاهرة التاسعة فقد قال تعالى : « إذ قال الله يا عيسى اني متوفيك ورافعك إلى ومطهرك من الذين كفروا وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة ثم إلى مرجعكم فأحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون . »

ومن أجل ذلك كانت النصارى تتغلب عليهم في كل معركة .

وقال تعالى : « ضربت عليهم الذلة أينما ثقفوا الا بحبل من الله وحبل من الناس وباؤا بغضب من الله وضربت عليهم المسكنة ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون الانبياء بغير حق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون . »

ومعنى ذلك أنه لاعزهم الا بالرجوع إلى الحق وبذل الجزية وهذا هو المراد بحبل من الله وحبل من الناس وسبب ذلك هو كفرهم بآيات الله وقتلهم الانبياء وقد روى انهم قتلوا ثلاثمائة نبي في أول النهار ثم أقاموا سوق الخضرة في آخر النهار .

وأیضا قال الله تعالى : « قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يدوهم صاغرون . »

وهذا دليل عدم قيام دولتهم اطلاقا .

ونذكر هاهنا الأسباب التي ادت باليهود إلى هذه الذلة وقد علمت أنهم كفروا بآيات الله وقتلوا الانبياء وعبدوا الطاغوت وعتوا عما نهوا عنه وبغوا واعتدوا وعصوا وكذبوا على الله وطغوا وأفسدوا فضرب الله عليهم الذلة لذلك ولم يجعل لهم سلطانا وأعد لهم في الآخرة الويل والعذاب .

وهذه اثنتا عشرة قبيحة من قبائح اليهود ذكرها الله في كتابه نجملها هاهنا .

القبيحة الأولى : أنهم كانوا يؤذون نبيهم موسى عليه السلام وذلك أنهم كان بسبب الحياء لا يغتسل مع بنى اسرائيل فقالوا أنما لا يغتسل معنا موسى لأن به برصا أو ادرة فأراد الله أن يبرئه فاغتسل موسى عليه السلام في خلوة عريانا ووضع ثوبه على حجر فأمر الله الحجر ففر بثوبه فجعل موسى عليه السلام خلفه يقول : ثوبى حجر ثوبى حجر حتى وقف على ملائمة اليهود فرأوه ابرأ خلق الله وقالوا مابه أذى .

ولهذا قال الله تعالى : (يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا وكان عند الله وجهها) وروى أن نبينا ﷺ كان يقسم فقال رجل أن هذه قسمة ما أريد بها وجه الله فجاء عبد الله بن مسعود فأخبر النبي ﷺ فقال : رحم الله موسى لقد أذى بأكثر من هذا فصبر .

القبيحة الثانية : أنهم أبوا العمل بالتوراة فرفع الله عليهم جبل الطور لاختد الميثاق الغليظ والعمل به كما حكى الله تعالى فقال : « وإذ أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما آتيناكم بقوة واذكروا ما فيه لعلكم تتقون ، ثم توليتم من بعد ذلك فلولا فضل الله عليكم ورحمته لكنتم من الخاسرين »

وقال أيضا : « وإذ أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما آتيناكم بقوة قالوا سمعنا وعصينا وأشربوا في قلوبهم العجل بكفرهم »

القبيحة الثالثة : أنهم قالوا لموسى عليه السلام لن نؤمن حتى نرى الله كما حكى الله تعالى ذلك عنهم فقال : « وإذ قلت يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأخذتكم الصاعقة وانتم تنظرون ، ثم بعثناكم من بعد موتكم لعلكم تشكرون » وقال أيضا : « فقد سألوا موسى أكبر من ذلك فقالوا ارنا الله جهرة »

القبيحة الرابعة : أنهم بدلوا ما أمروا به من دخول باب المسجد سجدا وقول حطة فقالوا حبة في شعرة ودخلوا على استاههم كما قال تعالى : « وإذ قلنا ادخلوا هذه القرية فكلوا منها حيث شئتم رغدا وادخلوا الباب سجدا وقولوا حطة نغفر لكم خطاياكم وسنزيد المحسنين ، فبدل الذين ظلموا قولا غير الذى قيل لهم فأنزلنا على الذين ظلموا رجزا من السماء بما كانوا يفسقون »

القبيحة الخامسة : أنهم نسبوا إلى نبيهم موسى عليه السلام حين أمرهم بذبح بقرة في قضية المقتول الذى سألوا عن قاتله انه يهزأ كما قال تعالى : « وإذ قال موسى لقومه إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة قالوا ألتخذنا هزوا قال أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين »

القبيحة السادسة : أنهم كانوا يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هو من عند الله كما قال الله تعالى : « فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا فويل لهم مما كتبت بأيديهم وويل لهم مما يكسبون »

القبیحة السابعة : أنهم كانوا یلوون الستهم بالكتاب لیحسب أنه من الكتاب كما قال تعالى : « وإن منهم لفريقا یلوون أ الستهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب وما هو من الكتاب ویقولون هو من عند الله وما هو من عند الله ویقولون علی الله کذبا وهم یعلمون »

القبیحة الثامنة : أنهم كانوا یحرفون کلام الله كما قال تعالى : « أفنطمعون أن یؤمنوا لكم وقد کان فريق منهم یسمعون کلام الله ثم یحرفونه من بعد ما عقلوه وهم یعلمون » وقال أيضا « من الذین هادوا یحرفون الکلم عن مواضعه ویقولون سمعنا وعصینا واسمع غیر مسمع وراعنا لیا بأ الستهم وطعنا فی الدین »

القبیحة التاسعة : ان موسى علیه السلام لما ذهب لاختذ التوراة ترکوا أخاه هارون علیه السلام واتبعوا السامری وعبدوا العجل كما قال تعالى : « واذا واعدنا موسى أربعین ليلة ثم اتخذتم العجل من بعده وانتم ظالمون » وقال أيضا : « ثم اتخذوا العجل من بعد ما جاءتهم البینات » وقال أيضا : « واتخذ قوم موسى من بعده من حلیم عجلا جسدا له خوار ألم یروا انه لا یکلمهم ولا یریدهم سییلا اتخذوه وكانوا ظالمین » وقال أيضا : « ان الذین اتخذوا العجل سیناهم غضب من ربهم وذلة فی الحیاة الدنیا »

القبیحة العاشرة : انهم قالوا ان ید الله مغلولة كما قال تعالى : « وقالت اليهود ید الله مغلولة غلت ایدیهم ولعنوا بما قالوا بل یداه مبسوطتان ینفق کیف یشاء ولیزیدن كثيرا ما انزل الیک من ربک طغیاننا وکفرا وألقینا بینهم العداوة والبغضاء الی یوم القیامة کلما أوقدوا نارا للحرب اطفأها الله ویسعون فی الارض فسادا والله لا یحب المفسدین »

القبیحة الحادية عشرة : انهم كانوا یقولون ان الله فقیر كما قال تعالى : « لقد سمع الله قول الذین قالوا ان الله فقیر ونحن اغنیاء سنکتب ما قالوا وقتلهم الانبیاء بغیر حق ونقول ذوقوا عذاب الحریق ذلک بما قدمت ایدیکم وان الله لیس بظلام للعبید »

القبیحة الثانية عشرة : انهم قالوا لنبیهم موسى اذهب أنت وربک فقاتلا انا هنا قاعدون مع انه ذکرهم بنعم الله علیهم من جعله فیهم انبیاء وجعلهم ملوکا وایتائهم ما لم یؤت أحدا وحکی الله عنهم ذلک فقال : « واذا قال موسى لقومه یاقوم اذكروا

نعمة الله عليكم اذ جعل فيكم أنبياء وجعلكم ملوكا وآتاكم ما لم يؤت احدا من العالمين ، يا قوم ادخلوا الارض المقدسة التي كتب الله لكم ولا ترتدوا على أدباركم فتنقلبوا خاسرين ، قالوا ياموسى ان فيها قوما جبارين وانا لن ندخلها حتى يخرجوا منها فان يخرجوا منها فانا داخلون ، قال رجلان من الذين يخافون أنعم الله عليهما ادخلوا عليهم الباب فاذا دخلتموه فإنكم غالبون وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين ، قالوا ياموسى انا لن ندخلها ابدا ما داموا فيها فاذهب أنت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون ، قال رب انى لا أملك الآ نفسى وأخى فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين . قال فانها محرمة عليهم اربعين سنة يتيهون فى الارض فلا تأس على القوم الفاسقين »

اسباب غضب الله على اليهود

ذكرنا بعض قبائح اليهود التي لعنوا بسببها وضربت عليهم الذلة والمسكنة وغضب الله عليهم ومسخهم وحمل عليهم الاصر والاعلال وأوقع في فرقهم العداوة والبغضاء وسلبهم الحكومة والسيادة واستشهدنا على ذلك بآيات من القرآن .

وكان أكبر هذه الاسباب التي استحقوا بها السخط قتلهم الانبياء ونقضهم الميثاق الذي أخذ الله عليهم وايداؤهم موسى عليه السلام واباؤهم العمل بالتوراة وطلبهم رؤية الله جهرة وتبديلهم ما أمروا به ونسبتهم الهزء الى موسى عليه السلام وكذبهم على الله وليهم اللسنة بالكتاب وتحريفهم كلام الله واتباعهم السامري وعبادتهم العجل وقولهم ان الله فقير وان يده مغلوله .

وكل ذلك ذكره الله في كتابه العزيز في آيات كثيرات في مواضع من القرآن متعددة .

ونذكرها هنا قبيحة من قبائحهم وهي اغترارهم بالعقيدة الفاسدة وهي أنه لا تمسهم النار الا اياما معدودة كما قال تعالى : « وقالوا لن تمسنا النار الا اياما معدودة قل اتخذتم عند الله عهدا فلن يخلف الله عهده أم تقولون على الله ما لا تعلمون بلى من كسب سيئة واحاطت به خطيئته فاولئك أصحاب النار هم فيها خالدون »

وهذا النوع من قبائح اليهود مما يتعلق بحقدهم الفاسد وهو جزمهم بأن الله تعالى لا يعذبهم الا اياما قليلة وهذا الجزم لا سبيل اليه بالعقل البتة الا بالدليل السمعى ولا توجد هناك دلالة سمعية فكيف جوزوا الجزم بذلك .

وقد روى عن مجاهد ان اليهود كانت تزعم ان الدنيا سبعة آلاف سنة فالله تعالى يعذبنا سبعة ايام ، وحكى الاصم عن بعض اليهود انهم عبدوا العجل سبعة ايام فكانوا يقولون ان الله تعالى يعذبنا سبعة ايام ، ويروى عن ابن عباس انه فسر هذه الايام بالاربعين وهو عدد الايام التي عبدوا العجل فيها .

وكل ذلك من اباطيلهم وقد رد الله تعالى عليهم بأن وعيده لا حق بالعصاة وهم أصحاب النار وأنكر على اليهود ان يكون لديهم عهد بذلك .

وفي موضع آخر يقول الله تعالى : « ان الذين يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير حق ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس فبشرهم بعذاب أليم أولئك الذين حبطت اعمالهم في الدنيا والآخرة وما لهم من ناصرين ألم تر إلى الذين أتوا نصيبا من الكتاب يدعون إلى كتاب الله ليحكم بينهم ثم يتولى فريق منهم وهم معرضون ، ذلك بأنهم قالوا لن تمسنا النار إلا أياما معدودات وغرهم في دينهم ما كانوا يفترون ، فكيف إذا جمعناهم ليوم لا ريب فيه ووفيت كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون »

وقد روى عن ابي عبيدة ابن الجراح انه قال قلت يا رسول الله أى الناس اشد عذابا يوم القيامة قال رجل قتل نبيا أو رجل أمر بالمنكر ونهى عن المعروف وقرأ هذه الآية ، ثم قال يا أبا عبيدة قتلت بنو اسرائيل ثلاثة واربعين نبيا من أول النهار في ساعة واحدة فقام مئة رجل واثنان عشر رجلا من عباد بنى اسرائيل فأمروا من قتلهم بالمعروف ونهواهم عن المنكر فقتلوا جميعا في آخر النهار في ذلك اليوم فهم الذين ذكرهم الله تعالى .

ولما كان المراد هنا شرح عظم ذنبهم وقد وصف بثلاثة اوصاف جاء وعيدهم من ثلاثة اوجه ايضا :

الاولى : العذاب الاليم وذلك قوله « فبشرهم بعذاب اليم »

الثانى : حبوط أعمالهم وذلك قوله « أولئك الذين حبطت اعمالهم في الدنيا والآخرة »

الثالث : قوله تعالى : « وما لهم من ناصرين »

وقد بين الله بالنوع الأول من الوعيد اجتماع أسباب الآلام والمكروهات في حقهم وبين بالنوع الثانى زوال أسباب المنافع عنهم بالكلية ، وبين بالوجه الثالث حقهم حتى لا يكون لهم ناصر ولا دافع .

وقد ذكر الله بعد ذلك اليهود وعدم احتكامهم الى كتاب الله واعراضهم عنه ويروى في ذلك عن ابن عباس ان رجلا وامرأة من اليهود زنيا وكاتا ذوى شرف وكان في كتابهم الرجم فكرهوا رجمهما لشرفهما عندهم فرجعوا في أمرهما الى النبي ﷺ رجاء ان يكون عنده رخصة في ترك الرجم فحكم الرسول بالرجم فأنكروا ذلك فقال عليه السلام بيني وبينكم التوراة فان فيها الرجم فمن أعلمكم ؟ قالوا عبد الله بن صوريا الفدكي فأتوا به واحضروا التوراة فلما أتى على آية الرجم وضع يده عليها فقال ابن سلام : قد جاوز موضعها يارسول الله فرفع كفه عنها فوجدوا آية الرجم فأمر النبي ﷺ بهما فرجما فغضبت اليهود لعنهم الله لذلك غضبا شديدا فأنزل الله هذه الآية .

ويروى ايضا انه ﷺ دخل مدرسة اليهود وكان فيها جماعة منهم فدعاهم الى الاسلام فقالوا على اى دين انت ؟ فقال على ملة ابراهيم فقالوا ان ابراهيم كان يهوديا فقال النبي ﷺ هلموا الى التوراة فأبوا ذلك فأنزل الله تعالى هذه الآية .

ويروى كذلك ان النبي ﷺ دعا اليهود الى التوراة وفيها علامات بعثته والدلائل الدالة على صحة نبوته فأبوا الرجوع اليها فأنزل الله هذه الآية .

والمعنى انهم اذا ابوا ان يجيئوا الى التحاكم الى كتابهم فلا عجب من مخالفتهم كتابنا فلذلك قال تعالى : « قل فاتوا بالتوراة فاتلوها ان كنتم صادقين » ولو علموا ان ليس في التوراة ما يدل على نبوة نبينا لسارعوا اليها ولكنهم اسروا ذلك وقد استوجبوا الذم بعد ذلك على انهم قطعوا بأن مدة عذاب الفاسق قصيرة قليلة وانهم كانوا يتساهلون في اصول الدين وانهم كانوا يعتقدون انه لا تأثير لتكذيبهم محمدا في تغليظ العقاب فكان ذلك تصرحا بتكذيبهم اياه مع استحقاق هذا التكذيب .

أما قوله تعالى : « وغرهم في دينهم ما كانوا يفترون » فالمراد اما قولهم : « نحن ابناء الله واحبائه واما قولهم لن تمسنا النار الا اياما معدودات » وكل ذلك من قبائحهم الموجبة عليهم الغضب واللعنة وقيل وغرهم قولهم نحن على الحق وانت على الباطل .

ومعنى قوله : « فكيف اذا جمعناهم » انه لما حكى عنهم اغترارهم بما هم عليه من الجهل بين انه سيجيء يوم يزول فيه ذلك الجهل وينكشف فيه ذلك الغرور .

ومن قبائح اليهود قولهم لموسى عليه السلام ((انا لن ندخلها أبدا ما داموا فيها فاذهب أنت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون)) فانظر ايها المسلم الى حكاية هؤلاء الملعونين والى قول قادة هذه الامة المرحومة وسادتها مع قلة عددها وعددها يوم بدر : يا رسول الله اذهب انت ونحن نقاتل بين يديك ومن خلفك وعن يمينك وعن يسارك والله لو أمرتنا أن نخوض هذا البحر الاخضر لحضنا ، فواز بين هاتين المقاتلتين وزنهما بميزان العدل تجد بينهما بعد المشرق والمغرب فكلمة اليهود كلمة كفر تكاد السموات يتفطرن منها وتنشق الارض وتخر الجبال هدا وكلمة هذا المسلم الواحد القائم عند رسول الله ﷺ وسلم الواقف في عدد من المسلمين ثلاثمئة وثلاثة وعشرين كلمة اسلامية صدرت من صميم القلب المسلم وتجاوزت السموات السبع حتى بلغت قائمة العرش العظيم تحوم حولها وتأخذ الجزاء من رب العرش الكريم جزاء وافرا كاملاً يملّغه درجات عالية وغرفات غالية في جنة النعيم .

نعم هذه القبائح الجالبة على اليهود اللعن والطعن والذلة والمسكنة وغيرها هي التي تحثنا على الجهاد والقتال واستعمال السيف والسنان والحراب والسهام لتعرف قوة المجاهدين ويعرف جبن الجبناء ، وقد تغلب هؤلاء اليهود الملعونون على بعض أهل الاسلام باستعمال النار ولا يعد لهم ذلك نصرا ولا ظفرا بل هو ضرب من الحباب الذى يكون على الماء ثم يضمحل ويذهب جفاء ، فالمسلم الواحد الحق يكفى لغلبة اثنين والمئة تغلب مئتين بنص القرآن كما قال تعالى : « الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفا فان يكن منكم مئة صابرة يغلبوا مئتين وان يكن منكم الف يغلبوا ألفين بإذن الله والله مع الصابرين » ويجب علينا استعمال آلات النار مثلما يستعملون لقوله تعالى : « فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم » وقال تعالى : « ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلكم فيه فان قاتلوكم فاقتلوهم كذلك جزاء الكافرين » وليس من شأن المسلم الوهن في ابتغاء القوم الكافرين كما قال تعالى : « لا تمهوا في ابتغاء القوم ان تكونوا تألمون فانهم يألمون وترجون من الله ما لا يرجون وكان الله عليما حكيما » وكذلك ليس من شأن المجاهد المخلص ان يولى دبره يوم الزحف كما قال تعالى : « يأأيها الذين آمنوا اذا لقيتم الذين كفروا زحفا فلا تولوهم الادبار ومن يولهم يومئذ دبره الا متحرفا لقتال او متحيزا لفئة فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير » بل الكافر هو الذى يولى دبره

كما قال تعالى : « ولو قاتلكم الذين كفروا لولوا الادبار » وقال : « وان يقاتلوكم يولوكم الادبار ثم لا ينصرون »

والمجاهد المسلم لا يدعو الكافر ابتداء الى الصلح فان طلب الكافر الصلح قبل قال تعالى : « فلا تنهوا وتدعوا الى السلم وأنتم الاعلون والله معكم ولن يتركم أعمالكم »

وقال عز وجل : « وان جنحوا للسلم فاجنح لها » وقال ايضا : « فاذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب حتى إذا أثختموهم فشدوا الوثاق فإما منا بعد وإما فداء حتى تضع الحرب أوزارها ولو شاء الله لانتصر منهم ولكن ليبلوا بعضكم ببعض والذين قتلوا في سبيل الله فلن يضل أعمالهم ، سيهديهم ويصلح بالهم ، ويدخلهم الجنة عرفها لهم ، يأياها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم ويثبت اقدامكم والذين كفروا فتعسا لهم وأضل أعمالهم ، ذلك بأنهم كرهوا ما انزل الله فأحبط أعمالهم ، أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم دمر الله عليهم وللكافرين أمثالها ذلك بأن الله مولى الذين آمنوا وأن الكافرين لا مولى لهم »

وهذا كما في الحديث انه قال ابو سفيان يوم أحد : لنا عِزٌّ ولا عِزٌّ لكم فقال النبي ﷺ : « أجيبوه لنا مولى ولا مولى لكم » .

موجبات ذلة اليهود

وقد ذكر الله تعالى من قبائح اليهود قتلهم أنبياءه وذلك في مواضع من كتابه العزيز منها قوله جل شأنه : « وضربت عليهم الذلة والمسكنة وباءوا بغضب من الله ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير الحق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون »

وقد بين الله تعالى في هذا انه انما ضرب عليهم الذلة والمسكنة وجعلهم محل الغضب والعقاب من حيث كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون انبياءه ، وذكروا في معناه انه جعلت الذلة محيطة بهم مشتملة عليهم فهم فيها كمن يكون في القبة المضروبة ، أو الصقت بهم حتى لزمتهم ضربة لازم كما يضرب الطين على الحائط فيلزمه .

والاقرب في الذلة ان يكون المراد منها ما يجرى مجرى الاستحقاق كقوله تعالى فيمن يحارب ويفسد : « ذلك لهم خزي في الدنيا » فأما من يقول : المراد به الجزية خاصة على ما قال « حتى يعطوا الجزية عن يدهم صاغرون » فقولوه بعيد لانها لم تكن مضروبة بهم من أول الامر والمراد بالمسكنة الفقر والفاقة وتشديد المحنة وهذا الجنس يجوز ان يكون كالعقوبة ، ومن العلماء من عد هذا من باب المعجزات لانه عليه السلام اخبر عن ضرب الذلة والمسكنة عليهم ووقع الامر كذلك فكان هذا اخبارا عن الغيب فيكون معجزا .

وجاء البوء بمعنى الرجوع والتسوية والاستحقاق والغضب من الله هو ارادة الانتقام والمعنى انهم استحقوا جميع ما تقدم لاجل افعالهم واشدها الكفر وهو الجهد بآياته وقتل الانبياء ، وقد أفاد قوله : (بغير الحق) انهم تعهدوا قتلهم وهم يعلمون انه ليس بحق فان الذي يأتي بالباطل قد يكون يعتقد حقا لشبه قامت في نفسه لكن هؤلاء قتلوا الانبياء وكانو عالمين بقبح فعلهم وانه ليس بحق ومع ذلك فقد فعلوه ، فالتكرير المؤكد يقتضى هذا التخريج على انه لو ذمهم على مجرد القتل لكان وقوعه

بارادة مبعث سؤلهم فكأنه نبه على ان القضاء عليهم من الله بحق وان فعلهم ذلك باطل فى حقيقة الامر وفى اعتقادهم ايضا ، وهكذا جاء قوله بعد هذا وهو : « ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون » تأكيداً بتكرير الشئ بغير اللفظ الاول تبكيتاً على الذنوب فكأنه لما ذكر انزال العقوبة بهم بين سبب استحقاقهم اياها فبدأ أولاً بما فعلوه فى حقه من جحدهم وكفرهم ثم بما يتلوه فى العظم وهو قتل الانبياء ثم ثلثه بما يكون منهم من المعاصى التى تخصهم ثم ربعه بما يكون منهم من المعاصى المتعدية بالظلم ، هذا وقد ذكر (الحق) هنا بالتعريف وفى غير هذا الموضع نكرة فالمعروف هو الذى يعرف المسلمون من كفر بعد ايمان أو زنا بعد احصان أو قتل نفس حرمها الله فكأن المنكر جاء تأكيد العموم كأنه قال لم يكن هناك حق فى قتلهم لا هذا الذى يعرفه المسلمون ولا غيره البتة .

ويقول الله فى موضع آخر : « واذا قيل لهم آمنوا بما أنزل الله قالوا نؤمن بما أنزل علينا ويكفرون بما وراءه وهو الحق مصدقاً لما معهم قل فلم تقتلون انبياء الله من قبل ان كنتم مؤمنين »

وفى هذه الآية ذكر الله اليهود الذين كانوا فى زمن النبى ﷺ بما كان من قبائح أفعال سلفهم من قتل الانبياء وبين لهم ان دعواهم انهم مؤمنون بالتوراة متناقضة لانها كفرت من سعى فى قتل صادق النبوة وهم قد فعلوا ذلك مع يحيى وزكريا وعيسى عليهم السلام ولم يبلغوا مع ابن مريم قصدهم بل رفعه الله اليه وشبه لهم .

ويقول الله تعالى : « ان الذين يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير حق ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس فبشرهم بعذاب اليم ، أولئك الذين حبطت أعمالهم فى الدنيا والآخرة وما لهم من ناصرين » وهذا كما فى الحديث انه ﷺ قال قتلت بنو اسرائيل ثلاثة واربعين نبيا فى ساعة واحدة من اول النهار فقام اليه عبادهم فنهوا عن المنكر فقتلوا جميعا ، وتصح اضافة معنى الآية الى اليهود الذين كانوا فى زمن رسول الله ﷺ ولم يقع منهم قتل الانبياء ، اما على وجه التذكير كما فى الآية السابقة واما على وجه اضمارهم قتل رسول الله ﷺ وحرصه على ذلك لكن الله عصمه منهم .

وقال تعالى ايضا : « ضربت عليهم الذلة أينما ثقفوا ألا بحبل من الله وحبل من الناس وبأؤا بغضب من الله وضربت عليهم المسكنة ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون الانبياء بغير حق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون »

وقد ذكرنا فيما سبق ان المراد بهذا الذل المضروب عليهم استحقاقهم ذلك وان يحاربوا ويقتلوا وتغنم اموالهم وتسبى ذرارهم وينفوا من الارض التى احتلوها وهذا هو أقوى الوجوه فى تفسير ذلك .

وبعضهم يفسر هذه الذلة بالجزية وبعضهم يفسره بالمهانة فانك لا ترى فيهم ملكا قاهرا ولا رئيساً معتبرا بل هم مستخفون فى جميع البلاد ذليلون مهينون ، وأما الاستثناء فى الآية فليس معناه زوال تلك الذلة عنهم عند حصول حبل من الله وحبل من الناس . بل قال ابن جرير الطبرى انه استثناء منقطع فاليهود ضربت عليهم الذلة سواء كانوا على عهد من الله أو لم يكونوا فلا يخرجون بهذا الاستثناء من الذلة الى العزة فقلوه « ألا بحبل من الله » تقديره لكن قد يعتصمون بحبل من الله وحبل من الناس

ومال بعضهم الى حمل الذلة على كل هذه الاشياء اعنى القتل والاسر وسبى الذرارى وأخذ المال والحاق الصغار والمهانة وفائدة الاستثناء حينئذ انه لا يبقى عليهم مجموع هذه الاحكام وهذا لا ينافى فى بقاء بعضها مع حصول الحبل .

وقال الحسن : المراد بالمسكنة الجزية لانه أخرجهما عن الاستثناء وذلك يدل على انها باقية عليهم غير زائلة ، وقال آخرون : المراد ان اليهودى يظهر من نفسه الفقر وان كان غنيا موسرا وقال بعضهم : هذا اخبار من الله بأنه جعل اليهود روقا للمسلمين فيصيرون مساكين فى آخر الامر .

وقد ذكر الله فى هذا الموضع ايضا موجبات هذه الثلاثة الاشياء وهى الذلة والمسكنة وغضب الله فقال : « ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون الانبياء بغير حق بما عصوا وكانوا يعتدون »

وذكر العصيان والاعتداء بعد ذكر الكفر وقتل الانبياء يفيد ذكر علة العلة فلما كانت علة الذلة والغضب والمسكنة هى الكفر وقتل الانبياء كانت علة الكفر وقتل الانبياء هى المعصية والتوغل فيها .

وقال تعالى : « لقد سمع الله قول الذين قالوا إن الله فقير ونحن اغنياء سنكتب ما قالوا وقتلهم الانبياء بغير حق ونقول ذوقوا عذاب الحريق ، ذلك بما قدمت ايديكم وان الله ليس بظلام للعبيد »

وروى في ذلك انه ﷺ كتب مع ابي بكر في يهود بنى فينقا يدعوههم الى الاسلام وان يقرضوا الله قرضا حسنا فقال فنحا اليهودى : ان الله فقير حتى سألنا القرض فلطمه ابو بكر وقال لولا الذى بيننا وبينكم من العهد لضربت عنقك فشكاه إلى الرسول وجهه ما قاله فنزلت هذه الآية تصديقا لابي بكر رضى الله عنه .

وروى ايضا انه لما نزلت : « من ذا الذى يقرضها الله قرضا حسنا فى الآية قالت اليهود نرى اله محمد يستقرض منا فنحن اذا اغنياء وهو فقير وهو يهاننا عن الربا ثم يعطينا الربا ، واكثر الروايات على ان هذا القول كان منهم على سبيل الاستهزاء والسخرية وقد قرنه الله بقتلهم الانبياء بينا لان جهالاتهم وحماقتهم ليست مقتصرة على نوع معين .

ثم قال تعالى : « الذين قالوا ان الله عهد الينا ان لا نؤمن لرسول حتى يأتينا بقربان تأكله النار قل جاءكم رسل من قبلى بالبينات وبالذى قلتم فلم قتلتموهم ان كنتم صادقين »

قال ابن عباس نزلت هذه الآية فى كعب بن الاشرف وكعب بن أسد ومالك بن الصيف ووهب بن يهوذا وزيد بن الثابت وفنحاص بن عازوراء وغيرهم أتوا رسول الله ﷺ فقالوا يا محمد تزعم انك رسول الله وانه تعالى انزل عليك كتابا وقد عهد الله الينا فى التوراة ان لا نؤمن لرسول حتى يأتينا بقربان تأكله النار ويكون لها دوى خفيف تنزل من السماء فان جئتنا بهذا صدقناك فنزلت هذه الآية ، قال عطاء كانت بنو اسرائيل يذبحون لله فيأخذون الثروب وأطايب اللحم فيضعونها فى وسط بيت والسقف مكشوف فيقوم النبى فى البيت ويناجى ربه وبنو اسرائيل خارجون واقفون حول البيت فتنزل نار بيضاء لها دوى خفيف ولا دخان لها فتأكل ذلك القربان .

وقد بين الله تعالى ان طلبهم هذه المعجزة على سبيل التعنت وقد ارتفعت وليس من شرط المعجزات ان تكون على وجه الخصوص والتعيين وكذبهم بصنيعهم من قتلهم

انبياء الله ونسبة ذلك الى الحاضرين منهم زمن الرسول نسبة الرضا بفعل اسلافهم وان كان بينهم وبين من وقع منهم القتل قريب من سبعمئة سنة .

قال تعالى : « فما نقضهم ميثاقهم وكفرهم بآيات الله وقتلهم الانبياء بغير حق وقولهم قلوبنا غلف بل طبع الله عليها بكفرهم فلا يؤمنون الا قليلا »

وذكر الله هاهنا من جنائياتهم العظيمة نقضهم الميثاق والكفر بآياته وقتل الانبياء وقولهم : « قلوبنا غلف » يعنون انهم اوعية العلم فلا يحتاجون الى أحد أو انهم في اكنة مما يدعون اليه فلا يفقهون ما يقال لهم منصرفين عن كل شيء الى ما عندهم منكبين كل تكليف ، ومعنى الآية انه لعنهم وسخط عليهم وصب عليهم العقوبة بسبب ذلك وبما ذكر من قبل ومن بعد .

وقال ايضا : « لقد أخذنا ميثاق بنى اسرائيل وأرسلنا اليهم رسلا فكلما جاءهم رسول بما لا تهوى انفسهم فريقا كذبوا وفريقا يقتلون » وقال في موضع آخر : « أفكلما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم ففريقاً كذبتم وفريقاً تقتلون »

والمقصود ها هنا بيان عتو بنى اسرائيل وشدة تمردهم على الوفاء بعهد الله وقد أرسل اليهم رسلا بتعريف الشرائع والاحكام ، ومعنى « بما لا تهوى » انفسهم اى بما يخالف أهواءهم وبما يضاد شهواتهم من مشاق التكليف فبظلم منهم حرم عليهم الطيبات وبقتلهم انبياءه وأخلهم مثوى التبار والصغار .

الميثاق الذى نقضه اليهود

قال تعالى : « يا بنى اسرائيل اذكروا نعمتى التى أنعمت عليكم وأوفوا بعهدى أوف بعهدكم وإياى فارهبون » وفى هذه الآية الكريمة ذكر الله بنى اسرائيل بالنعم المخصوصة بهم فكان تعريفه اياهم عهدا له عليهم من حيث يلزمهم القيام بشكرها كما يلزمهم الوفاء بالعهد والميثاق أو المراد من هذا العهد ما أثبتته فى الكتب المتقدمة من نعت محمد ﷺ وأنه سيعثه وأما عهد الله معهم فهو ان ينجز لهم ما وعدهم كما فى رواية ابن عباس انه تعالى كان عهد الى بنى اسرائيل فى التوراة انى باعث من بنى اسماعيل نبيا فمن تبعه وصدق بالنور الذى يأتى به غفرت له ذنبه وأدخلته الجنة وجعلت له اجرين .

ومن هذه النعم التى جاء بها التذكير انه استنقذهم مما كانوا فيه من البلاء من فرعون وقومه وأبدلهم من ذلك بتمكينهم فى الارض وتخليصهم من العبودية كما قال « ونريد ان نمن على الذين استضعفوا فى الارض ونجعلهم ائمة ونجعلهم الوارثين ونمكن لهم فى الارض ونرى فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون »

ومنها انه جعلهم ملوكا وجعل فيها انبياء بعد ان كانوا عبيدًا لَلْقَبْطِ فَأَهْلَكَ اعداءهم وأورثهم ارضهم وديارهم واموالهم كما قال كذلك اورثناها بنى اسرائيل ومنها انه انزل عليهم من الكتب العظيمة ما لم ينزل على امة سواهم كما قال « واذا قال موسى لقومه اذكروا نعمة الله عليكم اذ جعل فيكم انبياء وجعلكم ملوكا وآتاكم ما لم يؤت احدا من العالمين »

وفى رواية عن ابن عباس انه قال من نعمه تعالى على بنى اسرائيل ان نجاهم من آل فرعون وظلل عليهم فى التيه الغمام وأنزل عليهم المن والسلوى فى التيه واعطاهم الحجر الذى كان كراأس الرجل يسقيهم ما شاءوا من الماء متى ارادوا ، فاذا استغنوا عن الماء رفعوه فاحتبس الماء عنهم واعطاهم عمودا من النور ليضيء لهم بالليل وكانت رؤسهم لا تتشعث وثيابهم لا تبلى .

وبالجملة فإن أخذ الميثاق منهم هو نوع من النعم ذلك لأنه قال انما أخذ ميثاقهم لمصلحتهم فصار ذلك من انعامه عليهم قال الله تعالى : « واذا اخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما آتيناكم بقوة واذكروا ما فيه لعلكم تتقون ، ثم توليتم من بعد ذلك فلولا فضل الله عليكم ورحمته لكنتم من الخاسرين »

وكان هذا الميثاق بفعل الامور التي توجب الانقياد والطاعة بما اودع الله العقول ، وقد روى ان موسى عليه السلام لما رجع من عند ربه بالالواح قال لهم ان فيها كتاب الله فقالوا لن نأخذ بقولك حتى نرى الله جهرة فيقول هذا كتابى فخذوه فأخذتهم الصاعقة فماتوا ثم احياهم الله فقال لهم موسى خذوا كتاب الله فأبوا فرفع فوقهم الطور وقيل لهم خذوا الكتاب والا طرح عليكم فأخذوه بعد ظهور هذه الآية الباهرة العجيبة وهي رفع الطور واعطوا العهد والميثاق ان لا يعودوا الى ما كان منهم من عبادة العجل وان يقوموا بالتوراة فكان هذا عهدا وموثقا جعلوه لله على أنفسهم ، وذكر ان أخذ الميثاق كان متقدما فلما نقضوه بالامتناع عن قبول الكتاب رفع عليهم الجبل ، والمفهوم من الرواية انهم قاموا بهذا الميثاق ثم اعرضوا عن الوفاء به فحرقوا التوراة وتركوا العمل به ، وقتلوا الانبياء وكفروا بهم وعصوا امرهم ولعل ما فيها ما اختص به بعضهم دون بعض ومنها ما عمله أوائلهم ومنها ما فعله متأخروهم ولم يزلوا في التيه مع مشاهدتهم الأعاجيب ليلاً ونهاراً يخالفون موسى عليه السلام ويعترضون عليه ويلقونه بكل أذى ويجاهرون بالمعاصي في معسكرهم حتى لقد خسف ببعضهم وأحرقت النار بعضهم وعوقبوا بالطاعون وكل هذا مذكور في تراجم التوراة التي يقرون بها ثم فعل متأخروهم ما لانخفاء به حتى عوقبوا بتخريب بيت المقدس وكفروا بالمسيح وهما يقتله .

ويذكر القرآن هذا الميثاق وما كان فيه من التكليف الموصل الى اعظم النعم فيقول : « واذا أخذنا ميثاق بنى اسرائيل لا تعبدون الا الله وبالوالدين احسانا وذى القربى واليتامى والمساكين وقولوا للناس حسنا واقيموا الصلاة وآتوا الزكاة ثم توليتم الا قليلا منكم وأنتم معرضون »

وقد شرح الله في هذا التكليف الثمانية التي تضمنها الميثاق الذى اخذ عليهم وقد تولوا فأساءوا الى انفسهم ولم يتلقوا نعم ربهم بالقبول مع توكيد الولاء والمواثيق عليهم

وذلك يزيد في قبح ما هم عليه من الاعراض والتولى لان الاقدام على المخالفة بعد العلم اعظم من المخالفة مع الجهالة .

وقد تضمن الميثاق ايضا ما ذكر الله في قوله : « واذ اخذنا ميثاقكم لا تسفكون دماءكم ولا تخرجون انفسكم من دياركم ثم اقررتم وانتم تشهدون ، ثم انتم هؤلاء تقتلون انفسكم وتخرجون فريقا منكم من ديارهم تظاهرون عليهم بالاثم والعدوان وان يأتوك اسارى تفادوهم وهو محرم عليكم اخراجهم أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم الا خزي في الحياة الدنيا ويوم القيامة يردون الى أشد العذاب وما الله بغافل عما تعملون »

وفي هذا بيان مخالفتهم العهد بعد تأكيد الامر واقرارهم بلزومه ووجوبه ثم ذمهم على المناقضة اذ أتوا ببعض الواجب وتركوا البعض كما كان في قصة بنى النضير وبنى قريظة اذ افترقوا فكان كل فريق يقاتل مع حلفائه فاذا أسر رجل من الفريقين جمعوا له حتى يفلوه .

وقال تعالى : « واذ أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما آتيناكم بقوة واسمعوا قالوا سمعنا وعصينا وأشربوا في قلوبكم العجل بكفرهم قل بشما يأمركم ايمانكم ان كنتم مؤمنين » ولا شك في ان اظلال الجبل كان من أعظم المخوفات ومع ذلك فقد اصرروا على كفرهم .

وحكى الله تعالى اصرارهم هذا فقال : « ورفعنا فوقهم الطور بميثاقهم وقلنا ادخلوا الباب سجدا وقلنا لهم لا تعدوا في السبت واخذنا منهم ميثاقا غليظا . فما نقضهم ميثاقهم وكفرهم بآيات الله وقتلهم الانبياء بغير حق وقولهم قلوبنا غلف بل طبع الله عليها بكفرهم فلا يؤمنون الا قليلا » وكانوا اعطوا الميثاق على ان لا يرجعوا عن الدين فان هم هموا بذلك فالله يعذبهم بأى نوع من أنواع العذاب فلما فعلوا ذلك أظلم الله عليهم الطور تخويفا قال تعالى : « واذ نتقنا الجبل فوقهم كأنه ظلة وظنوا انه واقع بهم خذوا ما آتيناكم بقوة واذكروا ما فيه لعكم تتقون » ولا شك في ان جنایاتهم كانت عظيمة جدا ومنها تحريفهم التوراة قال تعالى : « ولقد أخذ الله ميثاق بنى اسرائيل وبعثنا منهم اثني عشر نقيبا وقال الله اني معكم لئن أقمتם الصلاة وآتيتم الزكاة وآمنتم برسلي وعزتموه وأقرضتم الله قرضا حسنا لا كفرن عنكم سيئاتكم

ولادخلنكم جنات تجري من تحتها الأنهار فمن كفر بعد ذلك فقد ضل سواء السبيل
فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية يحرفون الكلم عن مواضعه ونسوا
حظا مما ذكروا به ولا تزال تطلع على خائنة منهم إلا قليلا منهم فاعف عنهم واصفح
ان الله يحب المحسنين »

وكان بنو اسرائيل اثني عشر سبطا فاختار الله من كل سبط رجلا حاكما فيهم
وقد ذكروا ايضا انهم بعثوا الى مدينة الجبارين الذين امر موسى عليه السلام بقتالهم
معهم ليقفوا على احوالهم ويرجعوا بذلك الى نبيهم فرأوا شوكة هابوها فجاءوا يحدثون
قومهم وقد نهوا عن ذلك فنكثوا الميثاق الا كالب بن يوفنا من سبط يهوذا ويوشع بن
نون من سبط افرايم بن يوسف وهما اللذان قال الله فيهما : « قال رجلان من الذين
يخافون » الآية وكان تحريفهم التوراة بكتمان صفة محمد عليه الصلاة والسلام وهو
نوع من التكذيب وأما قوله « فاعف عنهم واصفح » فهو منسوخ بآية السيف
وقال تعالى ايضا : « لقد اخذ الله ميثاق بنى اسرائيل وأرسلنا اليهم رسلا كلما
جاءهم رسول بما لا تهوى أنفسهم فريقا كذبوا وفريقا يقتلون » وقد بين في ذلك
عتوبنى اسرائيل وشدة تمردهم عن الوفاء بعهد الله قال تعالى : « فلما عتوا عما نهوا
عنه قلنا لهم كونوا قردة خاسئين ، واذ تأذن ربك ليعثن عليهم يوم القيامة من
يسومهم سوء العذاب ان ربك لسريع العقاب وانه لغفور رحيم وقطعناهم في الارض
أما منهم الصالحون ومنهم دون ذلك وبلوناهم بالحسنات والسيئات لعلمهم يرجعون ،
فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب يأخذون عرض هذا الأدنى ويقولون سيغفر لنا
وان يأتهم عرض مثله يأخذوه ، ألم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب ان لا يقولوا على الله
الا الحق ودرسوا ما فيه والدار الآخرة خير للذين يتقون أفلا تعقلون »

ومعنى قطعناهم أى فرقنا في البلاد والمراد بالصالحين القوم الذين كانوا في زمن
موسى عليه السلام يهدون بالحق وذكروا انهم الذين آمنوا بالنبي ﷺ والعذاب ممدود
الى يوم القيامة للذين أقاموا اليهودية وكذبوا رسول الله ﷺ .

وقد ذكر الله ها هنا حرصهم على الدنيا وقبح فعلهم من تغيير الشرائع لاجل
أخذ الرشوة وزعمهم انه سيغفر لهم هذا الذنب .

تم بحمد الله

الفهرست

الصفحة	الموضوع
٧	الدعاء بعد المكتوبة
٨	الفرق بين البدعة والسيئة
١١	ابتلاء الشاطبي بهذه المسألة
١٢	بدعة التزام الدعاء
١٥	قول الرواة (كان يفعل)
١٦	فعل الصحابة
١٨	توجيه كلام ابن القيم
١٩	كلام الحافظ ابن حجر
٢١	الرد على أدلة المجوزين
٢٣	الرد على الدليل الثاني
٢٥	الرد على الدليل الثالث
٢٦	توجيه كلام عمر بن عبد العزيز
٢٨	كلام الشافعي
٢٨	كلام ابن تيمية
٣٦	كلام الشوكاني
٣٧	كلام العيني
٣٨	نص البحر الرائق / والبدائع / والعالمكية
٤٣	الموازنة بين مسندى أحمد وبقى
٤٤	جودتهما من حيث الترتيب
٤٥	جودتهما من حيث الاشتراط
٤٦	زيادات القطيعي والذب عن المسند
٤٧	شرط الامام أحمد

٤٩ احصاءات مافي المسنين
٥٣ كان بقى بن مغلد يأتى باب أحمد بن حنبل فى صورة شحاذ
٥٣ أكبر المسانيد
٥٤ الخلاصة
٥٤ ترجمة الامام بقى بن مغلد
٥٦ كان مجتهداً لا يقلد أحداً
٥٦ لا نظير لكتبه وهى قواعد الإسلام
٥٨ كان مكنسة العلم
٥٨ كان يرفع عند كل خفض ورفع
٥٨ ما كان له طعام زمن الطلب إلا الكرب
٥٩ كان مجاب الدعوة
٥٩ أدخل علم الحديث فى الأندلس
٦٣ قبائح اليهود

طبع بترخيص وزارة الاعلام رقم ١٠٤٠ / م / ج في ١٠ / ٨ / ١٤٠٣

المؤلف في سطور :

- ولد سنة ١٣٠٢ هـ .
- وتوفي عن عمر جاوز التسعين .
- له من المشايخ نحو أربعين شيخاً .
- تصدى لتدريس الحديث والعلوم الإسلامية بعد التحصيل إلى أن توفي .
- قام بتدريس الحديث بالمسجد الحرام ودار الحديث المكيه نحو ثلاثين عاماً .

له من المؤلفات :

- ١ — تفسير القرآن الكريم بالقرآن والسنة .
- ٢ — شرح صحيح البخارى .
- ٣ — شرح مسند الإمام أحمد بن حنبل .
- ٤ — فهرسة مسند الإمام أحمد بن حنبل .
- ٥ — تراجم رجال المسند .
- ٦ — تراجم رجال الصحيحين والموطأ .
- ٧ — شرح الفيتى المصطلح وغيرها من الرسائل والمؤلفات

رحم الله شيخنا الفاضل وأسكنه فسيح جنانه .